

الرسالة المصرية

لأبي الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسي

٤٧٠ - ٥٢٨

## مقدمة

نرحب كثيرين من رجال الأندلس إلى الشرق طلباً للعلم أو المال أو الجاه ،  
أورغبةً في أداء فريضة الحج ، وكان من أولئك النازحين إلى مصر رجلٌ جَمَعَ إلى  
الأدب الحكمة ، وإلى الطب التنجيمَ والموسيقى والرياضة والبراعة في علم الحيل .  
هذا الرجل هو أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت ، المولود في مدينة  
دانية ، من بلاد الأندلس سنة ٤٧٠ هـ .

قدم أبو الصلت إلى الإسكندرية ومعه أمته — فيما يروى ابن خلكان —  
سنة ٤٨٩ هـ ، أي في أيام الخليفة الفاطمي المستنصر بالله أبي تميم معد بن الظاهر بالله  
علي بن الحاكم بأمر الله ؛ ووزيرُه إذ ذاك والقائمُ بأمر دولته الأفضل شاهنشاه  
ابن أمير الجيوش بدر الجمالي الأرمني .

وكان يأمل أبو الصلت من وراء رحلته هذه بسطةً في العيش ، وثرَاء من  
المال ، كما أشار إلى ذلك في صدر رسالته . ويبدو أنه ظل دهنراً خاملاً يتحين  
الفرص ، إلى أن أتيج له أن يتصل بأحد المقرّبين إلى الوزير الأفضل<sup>(١)</sup> ، في أيام  
الخليفة الأمر<sup>(٢)</sup> ، وذلك الرجل هو تاج المعالي مختار<sup>(٣)</sup> ، فخدمه بصناعتَي الطبِّ

١٥ (١) بدأت وزارة الأفضل للمستنصر الفاطمي سنة ٤٨٧ هـ بعد وفاة أبيه بدر الجمالي ، ثم  
وزر للمستعل بالله أحمد سنة ٤٨٨ هـ ، ثم للأمر بأحكام الله سنة ٤٩٦ هـ . وقد استبد بهؤلاء  
الحلقاء جميعاً إلى أن تمكن منه الأمر ودبر مقتله ، فقتل سنة ٥١٥ هـ . النجوم الزاهرة  
( ٥ : ٢٢٢ ) .

٢٠ (٢) هو الأمر بأحكام الله منصور بن المستعل بالله أحمد بن المستنصر بالله . ولد في سنة ٤٩٠ هـ  
واستخلف وله خمس سنين ، وقتل سنة ٥٢٤ هـ . انظر النجوم الزاهرة ( ٥ : ١٧ ) والخطط  
المقرزية عند ذكر « الجامع الأقر » .  
(٣) معجم الأدباء ( ٧ : ٥٤ ) .

- والتنجيم ، فأعجب به ، ووصفه بحضرة الأفضل وأثنى عليه ، وكان كاتب الأفضل  
ينفس عليه ذلك ، ويخشى بأس تاج المعالي ، وحدث أن تتابعت من تاج المعالي  
السقطات فأدى ذلك إلى أن يقبض عليه الأفضل ويعتقله ، فيجد كاتب الأفضل  
الفرصة سانحة للقضاء على أبي الصلت ، فيختلق له ما يدفع الأفضل إلى أن يلقي  
به في سجن المعونة<sup>(١)</sup> بمصر ، مدة ثلاث سنين وشهر<sup>(٢)</sup> ، بعد الذي دمج فيه من  
المدائح والشعر<sup>(٣)</sup> .

- ويروى ابن أبي أصيبعة في طبقات الأطباء ، أن دخول أبي الصلت إلى  
مصر كان في حدود سنة ٥١٠ هـ ، وأنه حبس في الإسكندرية في خلافة الأمر  
بأحكام الله ووزارة الأفضل<sup>(٤)</sup> . فإن صحت هذه الرواية كانت سنداً في أن  
أبا الصلت ورد مرة أخرى بعد وفاة ولي نعمته أبي الطاهر يحيى بن تميم بن المعز  
ابن باديس<sup>(٥)</sup> المتوفى سنة ٥٠٩ هـ ، وهي سنة خروجه من مصر .

(١) ذكر المقرئى هذا السجن عند ذكر الدار المأمونية المنسوبة إلى المأمون البطامى .  
قال : « وكان بمحوار الدار المأمونية حبس المعونة » . ثم قال : « ولم يزل هذا الموضع سجناً  
مدة الدولة الفاطمية ، ومدة دولة بني أيوب ، إلى أن عمره الملك منصور قلاوون قيسارية  
أسكن فيها المنبرانيين في سنة ٦٨٠ هـ . وقال : « وكان حبس المعونة هذا يحبس فيه أرياب  
الجرائم ... وأما الأسماء والأعيان فيسجنون بخزانة البنود » . والدار المأمونية من المعروفة  
بالمدرسة السيفية .

(٢) وقد روى المقرئى في نفع الطيب ( ١ : ٥٣٠ ليدن ) رواية عجيبة : أن عمر أبي  
الصلب ٦٠ سنة ، منها ٢٠ في أشبيلية ، و ٢٠ في أفريقية عند ملوكها الصنهاجيين ، و ٢٠  
في مصر محبوساً في خزانة الكتب .

(٣) انظر بعضها عند ابن أبي أصيبعة ( ٢٠ : ٥٣ ، ٥٦ ) .

(٤) ذكر ابن أبي أصيبعة سبب حبسه في الإسكندرية : أن الأفضل طلب إليه  
أن يعمل الحيلة في رفع مراكب غارق في البحر ، فاجتهد أبو الصلت ، ولكنه حينما قارب  
النجاح خافه جده ، فهبط المركب إلى قعر البحر ، بعد ما كبد الدولة خيسار فادحة ، فحبسه  
لأفضل لذلك .

(٥) ملك أبو الطاهر يحيى بن تميم ، المغرب سنة ٥٠١ هـ واستقر في ملكه إلى أن توفى  
سنة ٥٠٩ هـ . انظر تاريخ طرابلس الغرب لابن غلبون ( ص ٣٩ - ٤٠ ) .

ضاق أبو الصلت ذرعا بمصر ، ومالني فيها من الخيبة والعت . قل  
القنطلى<sup>(١)</sup> :

« ودخل مصر في أيام أفضلها فلم ينل منه إفضالا ، وقصده للنيل فلم يجد لديه  
نوالا . فحينئذ شد رحاله إلى المغرب في سنة ٥٠٦ ، واستعاد صلته بحضرة  
أبي الطاهر يحيى بن تميم بن باديس ، الذي وضع له هذه « الرسالة المصرية »  
يصف له فيها ما عاينه في مصر وما عاناه ، وتناول في هذه الرسالة القيمة :

- ١ - الوصف البلداني للديار المصرية ونيلها .
  - ٢ - ثم أخذ في تصوير جمال ربوعها ومغانها تارة بالشعر وأخرى بالنثر .
  - ٣ - وعقَّب على ذلك بالكلام في سكانها وأجناسهم ومذاهبهم وأخلاقهم  
وعقائدهم ، منذ عهد الفراعنة إلى ظهور الإسلام .
  - ٤ - وتحدث بعد ذلك فيما يحتويه من الآثار العجيبة ، كاهرمين والبرابي .
  - ٥ - وذكر عواصم مصر في القديم والحديث .
  - ٦ - وقدامى العلماء من اليونان والروم ، مستطرداً بذلك إلى ندرة من لقيه  
بمصر من المشتغلين بالعلم والحكمة والطب .
  - ٧ - وعجب من جهل من لقي بها من الأطباء ، ونوه بفضل بعض الأطباء  
البارعين .
  - ٨ - وتحدث في ولوع المصريين بأحكام النجوم وكثرة استعمالهم لها ،  
وأورد في ذلك نواحد وطرائف .
  - ٩ - ثم عرج على ذكر من لقيه بها من الأدباء والظرفاء .
- ٢٠ فهذه الرسالة تضرب بأسباب إلى علوم وفنون شتى ، وتمتد اليوم كما عدت

(١) انظر إخبار العلماء للقنطلى (ص ٥٧) طبع السعادة .

بالأمس ، وثيقة يرجع إليها البلداني ، والمؤرخ ، وباحث الآثار ، والاجتماعي ،  
والحكيم ، والطبيب ، والمنجم ، والأديب .

\*\*\*

- هذه الرسالة الصغيرة الحجم العظيمة القدر كانت متعارفة متداولة بين كبار  
العلماء والمؤرخين ، ثم أصبحت نادرةً مجهولة ، إلى أن تمكن المنفور له العلامة  
أحمد تيمور باشا — طيب الله ثراه — من اقتنائها في مكتبته الخاصة ، وهي برقم  
٦٠١ أدب . وعلى هذه النسخة الوحيدة في العالم — كما يتضح من مراجعة  
فهارس بروكلمان<sup>(١)</sup> — أعتمد في نشر هذه الرسالة الفريدة ، التي أورد طرفاً منها  
ياقوت في « إرشاد الأريب » ، والعماد في « الخريدة » ، والقفطي في « إخبار  
العلماء » ، وابن أبي أصيبعة في « عيون الأنباء » والأسعد بن ممتا في « قوانين  
الدولة » ، والمقرئ في « نفع الطيب » ، والمقرئ في « الخطط » ، والأدقوي  
في « الطالع السعيد » ، والشبوطي في « حسن المحاضرة » ، كما سيتضح لك عند  
تحقيق نصوصها .

- ولأبي الصلت غير الرسالة المصرية « كتاب الحديقة » على أسلوب « يتيمة  
الدهر » للثعالبي ، وقد نقل منه العماد في « الخريدة » . وله أيضاً « الأدوية  
المفردة » وهو محفوظ في مكتبة بودليان ، و « رسالة في العمل بالأسطرلاب » في  
برلين وليدن وبودليان ، و « تقويم الذهن » في المنطق ، بمكتبة الإسكريال ،  
و « أوراق من كتاب في الفلك » بالإسكريال ، و « كتاب في المعاني المختلفة  
للفظة نقطة » في مكتبة ليدن ، « قصيدة » بمكتبة برلين .

(١) انظر بروكلمان ( ١ : ٤٨٦ — ٤٨٧ ) وملحقه الأول ( ص ٨٨٩ ) . على أني  
عثرت فيما بعد على قطعة من الرسالة المصرية في دار الكتب المصرية برقم ٣٥٤ تاريخ ، سأنبه  
على موضع بدئها ونهايتها في الحواشي .

وقد صنف معظم هذه الكتب وهو في اعتقال الأفضل بمصر ، كما نص  
ابن خلكان .

\*\*\*

انتهت أيام أبي الصلت في المهديّة ، وقد اختلف المؤرخون في سنة وفاته ،  
فقيل سنة ٥٢٠ وقيل سنة ٥٢٨<sup>(١)</sup> .  
وإليك الرسالة :

---

(١) انظر ترجمته عند يلقوت (٤ : ٥٢) وابن خلكان (١ : ٨٠) والقفطي (٥٧) والمقرئ (١ : ٥٢٠) وابن أبي أصيبعة (٢ : ٥٢) .

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الشيخ أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت رحمه الله تعالى :  
كنت إبانَ عصرِ الشبابِ مونقٌ ، وغصنُ الصَّبَا مورك .

إِذ لِعَتِي مَسُودَةٌ وَمَاءٌ وَجْهِي رُونِقٌ <sup>(١)</sup>

- من سامحه الدهرُ بَغْفَلَةً من غفلاته ، وتجاوَى له عن غَفْوَةٍ من غفواته ، فعاش آمِنَ السَّرْبِ ، سائغَ الشَّرْبِ ، لا يتفرَّغ من أدبِ يرود رياضه ، ويردُ حِيَاضَه ، إلا إلى طربِ يعمرُ مِيدَانَه ، ويسحبُ ذِيولَه وأردانه . ثم تلوَّنَ قلبُ لي ظهرَ مِجَنِّه ، وسقاني دُرْدِيٌّ دَنَّهُ ، فندارك ما أغفلَه ، واستردَّ ما بذلَه ، واضطُرَّتْ إلى مفارقةِ الوطنِ ، والخروجِ عن العطنِ ، فتماسكتُ إشفاقاً من مفارقةِ أولِ أرضٍ مسَّ جلدِي تراها ، وشدَّتْ عليَّ التَّمَائِمُ بها <sup>(٢)</sup> . وجاءت أمورٌ لا تطاقُ كِبَارَ ، فلما لم يمكنَ القرارُ ، ولم يبقَ إلا الفِرَارُ ، قلت : ليس لي إلا أن أرميَ بنفسي كلَّ مرْمَى ، وأطرحها كلَّ مَطْرَحٍ .

لَأَبْلِغَ عُذْرًا أَوْ أَنْالَ رَغِيبَةً وَمُبْلِغُ نَفْسٍ عُذْرَهَا مِثْلُ مُنْجِحٍ <sup>(٣)</sup>  
وسكنت إلى البيت المشهور :

- ١٥ (١) اقتبسه من قول أبي الطيب التنبلي وتصرف فيه :  
ولقد بكيت على الشباب ولتي مسودة وماء وجهي رونق  
(٢) اقتباس من قول رفاع بن قيس الأسدي :  
بلاد بها نيطت على تمائمي وأول أرض مس جلدِي تراها  
اللسان (نوط) وأمالى القالى (١ : ٨٣) .
- ٢٠ (٣) اقتبسه كذلك من قول عمرو بن الورد ، ورواه أبو تمام في الحماسة (١ : ١٨٨) :  
ومن يك مثلي ذا عيال ومقترأً من المال يطرح نفسه كل مطرح  
ليبلغ عنراً أو يصيب رغبةً ومبلغ نفسٍ عندها مثل منجج

تلقى بكلِّ بلادٍ إن حلتَ بها أهلاً بأهلٍ وأوطاناً بأوطانٍ<sup>(١)</sup>  
 وإن كان يقول العامة ليس بين بلد و بلد نسب ، فخير البلاد ما حلك .  
 فجعلت أستقرى البلاد لأتيمم أوقمها للقيام ، وأعونها على مقارعة الأيام ، فكانت  
 مصرُ مما وقع عليه اختياري ، وصدقتُ حسنَ ظني قبل اختياري ، وسرتُ  
 قاصداً إليها أعتسِفُ الجاهل والتئاف ، وأخوضُ المهالك والمتآلف ، فطوراً  
 امتطى كلَّ حالكة الإهاب<sup>(٢)</sup> ، مسودَّة الجباب ، نابتة كصبغة الشباب ، قد  
 فسح ميدانها ، ووُضع راحة الرِّيح عنانها ، فجرت جرى الطَّرف الجروح ، وفاتت  
 مدى الطَّرف الطموح ؛ وطوراً كلَّ نِقب الأياطل ، كالهياطل<sup>(٣)</sup> ، سبَّط المشافر  
 جعد الأشعار ، احتذى العقيق ، أو الصُّنو الشقيق ، إن علاقت ظلمٍ خاضب ،  
 وإن هوى قلت شهابٌ ناقب ، يصل الذمَّيل بالوخاد<sup>(٤)</sup> ، ويلتهم التهام  
 والنَّجاد . فكم جزع وادٍ جزعته ، وجلباب ليل أدرعته ، وكم برّ خرقت  
 تحارمه ولباجه ، وبحرٍ شققت غواربه وأمواجه ، وليس لي غير مصر مقصد ،  
 ولا وراءها مذهب ، ولا دونها للفنى متطلب .

وكم في الأرض من بلدٍ ولكن عليك لشقوتي ووقع اختياري  
 فلما تغمَّرت ركابي من النيل ، واستدَّرت بظلِّ المقطم ، ألقيت عصا التسيار ،  
 واستقرت بي النوى ، وحققت ظهورهن من الرِّحال ، وأرحتهن من الحِلِّ  
 والترحال ، وقلت : ضالتي المنشودة ، وبغيتي المقصودة ، ها هنا ألبث وأقيم ، فلا

(١) البيت من أبيات الحماسة (١ : ٩٨) . وقوله :

لا يئمنك خفض العيش في دعة نزوع نفس إلى أهل وأوطان

(٢) يعني السفينة .

(٣) إنما نبت أياطله من إدمان السير . والنقب ، هنا : تنفط الجلد . والهياطل :  
 جمع هيطل ، وهو القثب ، يشبه به الفرس في شدة العدو . وفي الأصل : « نقب الأياطليل  
 كهياطيل » .

(٤) المسوع في مصدر وخذ هو الوخذ والوخدان ،

أبرح ولا أريم ، « بلدة طيبة ورب غفور » . وحيث التفت فروضاً وغدير ،  
وخورنق وسدير ، وظل ظليل ، ونسيم عليل .

- وكم تمنيت أن ألقى بها أحداً يسلي من الهم أو يعدي على الثوب<sup>(١)</sup>  
فما وجدت سوى قوم إذا صدقوا كانت مواعيدهم كالآل في الكذب<sup>(٢)</sup>  
وكان لي سببٌ قد كنت أحسبني أحظى به فإذا دأى من السبب  
فما مقلّمٌ أظفاري سوى قلبي ولا كتائبٌ أعدائي سوى كتي<sup>(٣)</sup>  
ولم تطل مدة اللبث حتى تبينت بما شاهدته أني فيها مبخورٌ البضاعة ،  
موكوس الصناعة ، مخصوصٌ بالإهانة والإضاعة ؛ وأن عيشها الرغد ، مقصورٌ  
على الوغد ، وعقابها المر ، موقوف على الحر ، فلو تقدمت فعلت ذلك خلفاً  
عنها مرگبي<sup>(٤)</sup> وصرفت إلى سواها وجهَ مطلبى ، ولما كان لي في الأرض مرعى  
شاسع ، ومُنْتَابٌ واسع ، بل تثبّطت ، حتى تورّطت ، حتى عوملت بما يُعامل به  
ذوو الجرائر والذنوب ، وجرّعت من المذلة بأوفى ذنوب . هذا مع ما حبرته من  
المدح التي اشتهرت شهرة الصّباح ، وهبّت هبوبَ الرياح ، ولهج بها الحامدي  
والملاح<sup>(٥)</sup> .

- ١٥ فسار بها من لا يسير مشمراً وغنى بها من لا يغنى مفرداً  
إلا أن الله جلت آلاؤه ، وقُدّست أسماؤه ، تدارك برحمته فأزال تلك المحنة  
بالمِنحة ، ونسخ تلك النعمة بالنعمة ، وختم بالوصول إلى حضرة الملك الأجلّ  
أبي الطاهر يحيى بن تميم بن المعز بن باديس ، الذي لم تزل حضرته مَصَاد

(١) في الأصل : « من النوب » سواه في ياقوت ( ٧ : ٨٠ ) والفهلى ( ٥٧ ) وابن  
٢٠ أبي أصيبعة ( ٢ : ٦٠ ) . وقد اقتبس هذه الآيات من شعره قديم ، كما يفهم من رواية  
ابن أبي أصيبعة .

(٢) في الأصل : « كالآل » ، سواه في ياقوت والفهلى وابن أبي أصيبعة .

(٣) في الأصل : « كتائب أعوانى » ، والصواب من المراجع المتقدمة .

(٤) في الأصل : « خلف » .

٢٥ (٥) انظر مديحه للأفضل في ابن أبي أصيبعة ( ٢ : ٥٦ ) .

العُناة<sup>(١)</sup> ، ومراد العُناة ، ومجتمع الفضائل ، ومنتجع الأفاضل ، ومشرع الجود ، ومشعر الوفود . فلما استترت بجناحه ، واستظهرت باستماحه ، أعذب لي بسماحة الدهر جناه ، واعتذر لي مما جناه ، فكفّ دوني كفه ، وصرف عني صرفه .

• كريم رفضت الناس لما بلغته كأنهم ماخفّ من زاد قادم  
فكنت فيما مضيت عليه ، وآلت حالي إليه ، من إشراقها بعد الأفول ، وإيراقها بعد الذبول ، كنصل أهمل أمره ، من جهل قدره ، ولما وقع إلى الخبير به صان صفحته وحده ، وحلّى حمائله وغمده ، ثم ادّخره فيما يدّخر وأعدّه ، فإن انتضاه ، يوماً ارتضاه ، وإن جرّده ، أحمده ، وإن هنّاه ، سرّاه في الضريبة حزه .  
١٠ ولكن أبي الله أن يكون الفضل إلا لمن نشأ في مفارسه ، ونجم في منابته ، وربّي في حجره ، وغذّي بدّره .

فلم أستسغ إلاّ نداه فلم يكن ليعديل عندي ذا الجناب جناب  
فما كلُّ إنعام يخفُّ احتمالُه وإن هطّلت منه على ربّاب<sup>(٢)</sup>  
ولكن أجلُّ الصنع ما جلّ ربّه ولم يأتِ بابٌ دونه وحجاب  
وما شئت إلاّ أن أدلّ عواذلي على أن رأيت في هواك صواب<sup>(٣)</sup>  
١٥ وأعلم قوماً خالفوني فشرّفوا وغرّبتُ أني قد ظفرت وخابوا

والأولى أن أضرب عمّا سلف ، وأترك ما فرط ، وآخذ فيما أجريت إليه وقصدته ، ونحوته واعتمدته ، ممّا آثرت به الحضرة السامية<sup>(٤)</sup> — أدام الله

(١) المصاد : موضع الصيد . والعناة : جمع عان ، وهو الأسير .

(٢) الرباب : سحاب يركب بعضه بعضاً ، الواحدة ربابة . وفي الأصل : « لدى ولا منه »

على « صوابه من ياقوت ( ٧ : ٥٩ ) ، وقافيته فيه « سحاب » .

(٣) البيت وتاليه للفتني في ديوانه ( ١ : ١٢٧ ) برواية الصكبري .

(٤) في الأصل : « الشامية » .

سموها — من وضعت ما عانيته من أرض مصر وعايته ، والاعتصار على الذي رأيته دون ما رويته ، فليس من يقول : علمتُ هذا من طريق العلم والمنع ، كمن يقول : تحققتُه بالمشاهدة والاطلاع ؛ فإنَّ ذا اللب الأمين لا ينخدع بمحال ، ولا يرضى بالتخال :

\*\*\*

وأنا أبتدئ بذكر هذه البلاد وموقعها في العمورة ومجرى النيل منها ، وغنائها فيها ، وأشفع ذلك بنبذ من ذكر أحوال أهلها في أخلاقهم ، وسيرهم وعاداتهم ، وما يتصل بذلك وينجرُّ معه ، ويحىء بسببه ، ويدخل في تضاعيفه . وهأنذا آخذ في ذلك ، وبالله أستعين ، وعليه التوكل .

\*\*\*

١٠

(١) أرض مصر بأسرها واقعة من العمورة في قسمي الإقليم الثاني والإقليم الثالث ، ومعظمهما في الثالث .

وحكى المعتنون بأخبارها وتواريخها أن حداها في الطول (٢) من مدينة برقة التي في جنوب البحر الرومي ، إلى أيلة من ساحل الخليج الخارج من بحر الحبشة والزنج والهند والصين . ومسافة ذلك قريب من أربعين يوماً .

١٥

قالوا : وحدها في العرض من مدينة أسوان وما سامتها من الصعيد الأعلى المتاخم لأرض النوبة ، إلى رشيد (٣) وما حاذها من مساقط النيل في البحر الرومي ، ومسافة ذلك قريب من ثلاثين يوماً . ويكتنفها من مبدئها في العرض إلى منتهاها جبلان [ أحدهما في الضفة الشرقية من النيل ، وهو المقطم ، والآخر في الضفة الغربية منه . والنيل منسرب فيما بينهما . وهما (٤) ] أجردان غير شاخين ، يتقاربان

٢٠

(١) الكلام من هنا إلى كلمة « الاستقامة » قاله القرظي في (١ : ١٥ - ١٦) .

(٢) هذا تسجيل تاريخي بلداني لما كانت عليه حدود مصر في عهد .

(٣) في الأصل : « لأرض الشام نورشيد » صوابه ، من الخطط .

(٤) التكمة من الخطط .

جداً في وضعيهما ، من لدن مدينة أسوان إلى أن ينتهي إلى القسطاط ، ثم تتسع مسافة ما بينهما وتفرج قليلاً ، ويأخذ المقطم منها مشرقاً والآخر مغرباً على وراب في أخذيهما<sup>(١)</sup> وتفرج<sup>(٢)</sup> في مسلكيهما ، فتتسع أرض مصر من القسطاط إلى ساحل البحر الرومي الذي عليه الفرما<sup>(٣)</sup> وتيس ودمياط ورشيد والإسكندرية ، وهناك تنقطع في عرضها الذي هو مسافة [ما بين] أوغلاها في الجنوب و [أوغلاها<sup>(٤)</sup>] في الغرب والشمال . وإذا مأمسحت بالطريق البرهانية في طريق هذه المسافة [من الأميال] لم تبلغ ثلاثين ميلاً<sup>(٥)</sup> ، بل تنقص عنها نقصاً ماله قدر ، وذلك لأن فضل ما بين عرض أسوان التي هي أوغلاها في الجنوب وعرض مدينة تيس التي هي أوغلاها في الشمال ، تسعة أجزاء ونحو سدس جزء من الأجزاء التي بها تحيط الدائرة العظمى ، [وهي<sup>(٦)</sup>] ثلاثمائة وستون جزءاً . وليس بين طوليهما فضل يقع بسببه في هذا الحساب ماله قدر يعتد به . فإذا ضاعفنا هذا العدد بما يخص الدرجة الواحدة من محاذة ذلك من الأميال ، وذلك ستة وخمسون ميلاً وثلاثاً ميل على ما دل عليه البرهان ، كان ذلك<sup>(٧)</sup> نحو خمسمائة وعشرين ميلاً بالتقريب ، وذلك مسافة سير عشرين يوماً أو قريب من ذلك<sup>(٨)</sup> . وفي هذه المدة من الزمان يقطع السفار أبداً ما بين هذين البلدين بالسير المعتدل في أكثر من ذلك قليلاً ، لما في الطريق من التعرّيج وعدم الاستقامة<sup>(٩)</sup> .

(١) في الخطط : « مأخذيها » .

(٢) في الأصل : « وتفرج » صوابه في الخطط .

(٣) في الأصل : « الهرمان » وتصحيحه من الخطط .

(٤) هذه النكلمة والتي قبلها من الخطط .

(٥) في الأصل : « يوماً » ووجه ما أثبت من الخطط .

(٦) ليست في الأصل .

(٧) في الأصل : « من ذلك » .

(٨) نقل عنه في النجوم الزاهرة ( ١ : ٣٦ ) أنها ثلاثون يوماً .

(٩) إلى هنا ينتهي نقل المقرئ .

وليس تشتمل أرض مصر بعد الفسطاط الذى هو مقرُّ الملك وكرسى الدولة، على مدائن لها قدرٌ في كثرتها ولا فخامتها، لكن أجل مدائنها وأخرها أما في الجهة الشمالية من الفسطاط فالإسكندرية وتنيس ودمياط، وأما في الجهة الجنوبية إلى أقصى الصعيد فقوص وقفت . فهذه صفة أرض مصر على الجملة.

\*\*\*

- (١) وأما النيل فينبوعه من وراء خط الاستواء، من جبل هناك يعرف بجبل القمر، فإنه يبتدىء بالتزيد في شهر أيب (٢)، الذى هو بالرومية يولية (٣). والمصريون يقولون: « إذا دخل أيب، كان للماء ديب ». وعند ابتدائه في التزيد (٤) تتغير جميع كفياته وتفسد، والسبب الموجب لذلك مروره بنقائع مياه آجنة (٥) يخالطها فيجتلبها، ويستخرجها معه ويستصحبها، إلى غير ذلك مما يَحتمل (٦). فتصير مثل الحال التي وصفه بها الأمير تميم بن المعز لدين الله:
- أما ترى الرعدَ بكى فاشتكى      والبرقَ قد أومض قاستضحكا (٧)  
فاشرب على غيمٍ كصَبغِ الدُّجى      أضحك وجه الأرض لما بكى (٨)  
[وقد حكى العودُ أنينَ الهوى      لكنّه جوّدَ فيما حكى] (٩)

- ١٥ (١) من هنا يبتدىء نقل آخر المقرزى في (١ : ٥٩) .  
(٢) في الخطط: « في التزايد ». والتزيد والتزايد بمعنى .  
(٣) ما بعد « أيب » ليس في الخطط . وفي الأصل: « قوله » .  
(٤) في الخطط: « التزايد » .  
(٥) في الأصل: « بقاء مع مياه آجنة » ، والصواب في الخطط .  
٢٠ (٦) الكلام والشعر بعد هذا لم يورده المقرزى .  
(٧) في الأصل: « الجو من إظلامه قد اشتكى » ، ولا يستقيم به الوزن ، إذ هو من السريع . وأثبت ما في ديوان تميم الودقة ( ١٢٠ ) من مصورة دار السكتب ذات الرقم ( ١٦٠٢٥ ز ) ، وهذه الرواية هي التي ذكرها الثعالبي في بيتمة الدهر ( ١ : ٣٤٩ ) الطبعة الأولى .  
٢٥ (٨) في الأصل: « يشبه التحقيق كصبح » تحريف ، وأثبت ما في الديوان وبيتمة الدهر .  
(٩) إثبات هذا البيت من ديوان تميم .

وانظر لما النيل في مده كأنما صُفدِل أو مسكا  
أو كما قال غيره من أهل العصر ، من قصيدة يصف فيها أرض مصر :  
ولله مجرى النيل منها إذا الصَّبا أرتنا به في مرَّها عسكرياً تجراً<sup>(١)</sup>  
فشطَّ يهزُّ السمهرية ذُبلاً وموجٌ يهزُّ البيضَ هنديةً تبراً  
إذا مدحاً كي الورد غصاً وإن صفا حكي ماءه لونا ولم يعده نشرأ<sup>(٢)</sup>  
وهذا نظير ما أنشدنيه عبد الله بن سرية لنفسه :

راقى النهرُ صفاء بعد شوقٍ لصفائه  
كانَ مثل الوردِ غصاً ثم قد صسار كانه

ولأبي بكر الصنوبري<sup>(٣)</sup> في مثل هذا المعنى :

وتقد طربتُ إلى الفرا تِ بكلِّ ذى كرمٍ ومجدٍ  
والشمسُ عند غروبها صفراء مذهبهُ الفرندِ  
والماء حاشيتاه تخضض جراوانٍ من آسٍ ورندي<sup>(٤)</sup>  
تجبوه أيدي الربيع إن هبت على قربٍ وبعدي  
بطرائفٍ من فضة وطرائفٍ من لازورد  
والسفن كالطير انبرت في الجوّ من مثنى وفرد  
حتّى إذا جزرَ الفرا تُ مضى وأعقبه بمد<sup>(٥)</sup>

(١) يقال للجيش العظيم : مجر ، لثقله وضخمه .

(٢) حكي ماءه ، أي أشبه ماء الورد في لونه . وفي الأصل : «حكي ماؤه نا فلم تحريف .

(٣) هو أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسن بن المرار ، المعروف بالصنوبري الحلبي . قال

السماعاني في الورقة ( ٣٥٥ ) : نسبة إلى الصنوبر . وانظر تعليلاً آخر في مختصر تاريخ دمشق

( ١ : ٤٥٦ ) . ووفاته سنة ٣٣٤ هـ . كما في شذرات الذهب . وانظر قوات الوفيات

( ١ : ٧٧ ) .

(٤) الرند : شجر من أشجار البادية طيب الرائحة ، ويقال للآس « رند » . وفي

الأصل « وورد » ولا وجه له .

(٥) في الأصل : « بورد » ووجهه ما أثبت .

١٠

١٥

٢٠

أبصرتَه وكنانَه      ملقَى عليه رداء ورو  
 متمللاً كالصَّبِّ أو      ذن من أحبته بصَدِّ  
 وكانما بحشاه ما      بحشاي من قلقٍ ووجد  
 وقال تميم بن المعز ، وأحسن التشبيه (١) :

يوم لنا بالنيل مختصرٌ      وبكلِّ يومٍ مسرةٌ قصرٌ  
 والسفنُ تصعدُ كالطيول بنا      فيه وجيشُ الماء ينحدرُ  
 فكانما أمواجهُ عُرف      وكانما داراته سُرر

وقال محمد بن الحسن :

النهر مكسوٌّ من الأزهار      برداً أنيقاً مثل ثوب . . .  
 . . . . .  
 وإذا استقام رأيت صفحة مُنصل      وإذا استدار رأيت عطف سوار

وقال أبو الحسن محمد بن الوزير ، في تدرُّج زيادة الماء إصبغاً إصبغاً ، ومنفعة ذلك التدرُّج :

أرى أبدأ كثيراً من قليل      وبدراً في الحقيقة من هلال  
 فلا تعجب فكلُّ قليلٍ ماء      بمصرَ مسببٌ نخلج مال  
 زيادةٌ إصبغٍ في كلِّ يوم      زيادةٌ أذرع في حُسن حال

فإذا كان في الخامس عشر ذراعاً وزاد من السادس عشر إصبغاً واحدة

كسِر الخليج (٢) .

ولكسره يوم معدود ، ومقام مشهود ، ومُجتمَع غاصٌّ ، يحفُرُه العامُ  
 والخاص . وإذا كسِر فتحت الترع — وهي فوّهات الخُلجان — قفاض الماء

(١) الأبيات التالية لم أجدها في ديوان تميم .

(٢) في الأصل : « يجرى لسك ذوب نضار » .

(٣) في الأصل : « نغت نغماً عظيماً » ، وأثبت ما عند القرظي في ( ١ : ٥٩ ) .

وساح ، وعم الغيطان والبطاح<sup>(١)</sup> ، وانضمّ الناسُ إلى أعلى مساكنهم من الضياع  
 والمنازل ، وهي على آكام وربّي لا ينتهي إليها الماء ، ولا يتسلط السيل عليها ،  
 فتعود عند ذلك أرض مصر بأسرها بجرّاً غامراً لما بين جبلها المكتنفين لها .  
 وثبت على هذه الحالِ ربّما يبلغ الحدّ المحدود ، في مشيئة الرب المعبود . وأكث  
 ذلك يحوم حول ثمانية عشر ذراعاً ، ثم يأخذ عائداً في منصبه ، إلى مجرى النيل  
 [ ومسر به ، فينضب أولاً عما كان<sup>(٢)</sup> ] من الأرض مشرقاً عالياً ، ويصير فيما  
 كان منها متظامناً<sup>(٣)</sup> ، فيترك كلّ قرارة كالدرهم ، وينادر كلّ تلة كالبرد  
 المسهم . وفي هذا الوقت من السنة تكون أرض مصر أحسن شيء منظرًا ،  
 ولاسيما متزّهاتها المشهورة ، ودياراتها المطروقة ، كالجزيرة ، وبركة الحبش<sup>(٤)</sup>  
 وما جرى مجراها من المواضع التي يطرقتها أهل الخلاعة ، وينتابها ذوو الأدب والطرب .  
 واتّفق أن خرجنا في مثل هذا الزمانِ إلى بركة الحبش ، فافتشنا من زهرها  
 أحسنَ بساط ، واستظللنا من دَرَحها بأوفى رواق ، وطلعت علينا من زُجاجات  
 الأقداح شمسٌ في خَلع البدور ، ونجومٌ<sup>(٥)</sup> بالصفاء تنور ، إلى أن جرى ذهبُ  
 الأصيل على لجين الماء ، ونشبت نار الشفق بفحمة الظلماء ، فقال في ذلك بعضنا<sup>(٦)</sup> :

(١) في المخطوط : « وعمر الغيطان والبطاح » .

(٢) مكان هذه التكملة التي أثبتتها من المخطوط بياض في الأصل .

(٣) بدل هذه الجملة في الأصل « ... متعطف ... نسطاميا » ولا كماله وصوابه من المخطوط .

(٤) كانت في ظاهر مدينة القسطنطينية من قبلها فيما بين النيل والجبل . وسميت بركة الحبش

نسبة إلى قتادة بن قيس بن حبشي الصدقي ، ممن شهد فتح مصر ، وكانت له حدائق بجوار هذه

البركة تعرف بالحبش فنسبت البركة إليها . وهذه البركة موقعها اليوم منطقة الأراضي الزراعية

التابعة لزمام قرية دير الصنين وجزء عظيم من الأراضي الزراعية التابعة لقرية البساتين . انظر

المخطوط ( ٢ : ١٥٢ ) والنجوم الزاهرة ( ٥ : ١٤ ) .

(٥) في الأصل : « نجوم » .

(٦) يعني نفسه . وجاء في المخطوط ( ٢ : ١٥٥ ) : « وقال ابن سعيد في كتاب المغرب :

« وخرجت مرة حيث بركة الحبش التي يقول فيها أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسي عفا

الله عنه » . وأنشد الأبيات التالية . وجاء في ( ٢ : ١٦٠ ) : « بئر أبي سلامة وتعرف

ببئر القم ، وهي من قبلى النوية ، وموضعها أحسن موضع في البركة ، وهي التي عنى أبو الصلت

أمية بن عبد العزيز بقوله » وأنشد الأبيات ، ورواها ياقوت في ترجمة أمية منسوبة إليه .

لله يومى بركة الحَبَشِ والأفق بين الضياء والغَبَشِ  
 والنيلُ تحت الرياحِ مضطربٌ كصارمٍ في يمينِ مرتعشِ  
 قد نسجتها يدُ الغمامِ لنا فنحن من نَسجها على فُرُشِ  
 ونحن في روضة مَفوَّفة دُبجٍ بالنورِ عِظفها ووُشى<sup>(١)</sup>  
 فعاطني الراحَ ، إنَّ تاركها من سورة الهم غير منتعشِ  
 وسقني بالكبارِ مترعةً فهنَّ أروى لشدة العطشِ<sup>(٢)</sup>  
 فأنقلُ الناسَ كلَّهم رجلٌ دعاه داعي الصبا فلم يَطِشِ<sup>(٣)</sup>  
 وقال أيضاً :

عُللُ فؤادك باللذاتِ والطَّربِ وباكرِ الراحَ بالناياتِ والنُّخبِ  
 أما ترى البركةَ الفناءَ لابسَةً وشيئا من النورِ حاكته يدُ الشُّخبِ  
 وأصبحتُ من جديدِ النَّبتِ في حُللِ قد أبرزَ القطرُ منها كلَّ محتجبِ  
 من سوسنٍ شريقٍ بالطلِّ محجرُهُ وأخوانِ شهيِّ الظلمِ والشنبِ  
 وانظر إلى الوردِ يحكى خدَّ محشمٍ من نرجسٍ ظلُّ يبدى لحظَّ مرتقبِ  
 والياسمينِ وقد أربى على دررٍ والراح من دُررٍ تطفو على ذهبِ  
 كم مرَّةٍ قد شفينا فيه غُلَّتنا بجاحمٍ من فم الإبريقِ . لتهبِ<sup>(٤)</sup>  
 شمسٌ من الراحِ حيَّانا بها قمرٌ موفٍ على غصنٍ يهتزُّ في كُتبِ  
 أرخى ذوائبه ، وانهزَّ منعطفاً كصعدةِ الريحِ ، في مسودةِ العذبِ  
 فاطربُ ودونكها فاشربُ فقد نغبت على التصابي دواعي اللهو والطربِ

ومما يتعلَّق بوصف النيل من أبياتٍ له كتبها إلى الأفضل ليلة المهرجان :

- ٢٠ (١) في الأصل : « ذبح بالقطر » ، صوابه من الخطط ومعجم الأدباء .  
 (٢) في الأصل : « لعل أروى » . وفي معجم الأدباء : « فهن أشقى » .  
 (٣) في الأصل : « يدعوه داعي الصبا » وأثبت ما في الخطط ومعجم البلدان .  
 (٤) في الأصل : « علتنا » بالمهملة .

أبدعت للناس منظراً عجيباً لا زالت تُحصى السرور والطربا  
 ألقت بين الضدين مقتدرأً فمن رأى الماء خالطاً اللهب  
 كأنما النيل والشموعُ به أفقُ سماءٍ تألقت شهباً  
 قد كان من فضةٍ فصار سماً وتحسبُ النارَ فوقه ذهباً

وقد تعاور الشعراء ..... شعاع على صبح . ومن مליح ما قيل في ذلك

قول بعض أهل العصر ، وهو أبو الحسن علي بن أبي البشر الكاتب :

شربنا مع غروبِ الشمسِ شمساً مشعشةً إلى وقت الطلوع  
 وضوء الشمع فوق النيل باد كأطراف الأسنه في الدروع

وأشد أبو منصور الثعالبي ( في يتيمة الدهر ) لمنصور بن كيفلغ<sup>(١)</sup> :

قام الغلامُ يديرها في كفه فحسبتُ بدر التّمِّ يحمل كوكبا  
 والبدر يمنح للأفول كأنه قد سلّ فوق الشطّ سيفاً مذهباً<sup>(٢)</sup>

وأشد فيه<sup>(٣)</sup> للقاضي أبي القاسم علي بن إبراهيم بن أبي الفهم التنوخي :

أحسنُ بدجلةَ والدُّجى متصوّبُ والبدر في أفق السماء مغرّبُ  
 فكأنها فيه بساطٌ أزرقُ وكأنه فيها طراز مذهب<sup>(٤)</sup>

١٥ وقال ابن وكيع التّيسى :

غدير يدرّج أمواجه هبوبُ الشمالِ ومَرَّ الصّبا  
 إذا الشمسُ من فوقه أشرقتُ توهمتَه جَوْشناً مُذهَباً

(١) في الجزء الأول من يتيمة الدهر ( ص ٦٥ ) . وقبل البيتين :

عاه الزمان بمن هويت فأعتبا يا صاحبي فسقياى واشربا

كم ليلة سامرت فيه بدرها من فوق دجلة قبل أن يتغيا

(٢) في الأصل : « فوق اللجّظ » وفي البيتية : « فوق الماء » . وانظر ماسياتى في

شعر ابن التمار الواسطى .

(٣) أي في هذا المعنى ، أو في كتاب يتيمة الدهر . انظر البيتية ( ١ : ٦٥ ) .

(٤) في الأصل : « وكأنه فيه طراز » والوجه ما أثبت من البيتية .

وقال بعض أهل العصر من قصيدة :

باطلي نهر كان الر وهو اللجين به ذوباً<sup>(١)</sup>

إذا حمشته الصبا رأيتها كأنه زرداً مذهباً

وقال أبو عبادة البحتري يصف بركة :

• إذا علتها الصبا أبدت بها حبُّكا مثل الجواشن مصقولاً حواشياً<sup>(٢)</sup>

إذا النجوم تراءت في جوانبها ليلاً حسبت سماء ركبت فيها

وقد أحسن عبد الله بن المعتز في قوله :

وتبدى لمن بالنجف المة فمر ما صافي الجمام غمى<sup>(٣)</sup>

فإذا قابلته دُرَّةُ شمس خلته كسرت عليه الحلى<sup>(٤)</sup>

١٠ وقال ابن التمار الواسطي يصف ضوء القمر على دجلة :

قُبِّ فانتصف من صُروف الدهر والنُوب واجمع بكأسك شملَ اللّهُو والطرب

أما ترى الليلَ قد ولتَ عينا كره مهزومةً وجيوشَ اللّهُو في الطلب

والبدرُ في الأفقِ الغربيِّ تحسبه قد مدَّ جسراً على الشَّطِّينِ من ذهب

وقال محمد بن عبد الله السلامي :

١٥ ونهرٍ تمرح الأمواجُ فيه مراح الخيل في رَهَجِ الغبار

إذا اصفرَّت عليه الشمسِ خلنا نيمرَ الماء يُمزج بالعُقار

\*\*\*

وأما سكان أرض مصر فأخلاقٌ من الناس مختلفة الأصناف<sup>(٥)</sup> : من

قبط وروم وعرب وبربر وأكرادٍ وديلم وجُشنان وأرمن<sup>(٦)</sup> ، وغير ذلك من

٢٠ (١) كذا ورد البيتان على ما بهما من تحريف .

(٢) البيتان من قصيدة له يمدح فيها التوكل ويصف بركته . الديوان ٣١٩ .

(٣) القرى : البارد ، يقال غمى الفدير : برد ماؤه .

(٤) في ديوان ابن المعتز ٦١ : « فإذا ضاحكته » .

(٥) في الخطط ( ١ : ٤٨ ) : « مختلفو الأصناف » .

٢٥ (٦) هذه الكلمة ليست في الخطط .

الأصناف والأجناس على حسب اختلافاتهم ، وقالوا : إن السبب في اختلافهم ،  
والموجب لاختلاطهم ، اختلاطُ المالكين لها ، والمتغلبين عليها ، من العاقلة  
واليونانيين والروم والعرب وغيرهم ، فهذا اختلطت أنسابهم فاقترضوا من  
التعريف بأنفسهم على الانتساب إلى مواضعهم<sup>(١)</sup> ، والأتناء إلى مساقطهم  
ومواقعهم .

وحكى جماعة من المؤرخين أنهم كانوا في الزمن السالف عبّادَ أصنام ،  
ومدبري هياكل ، إلى أن ظهر دينُ النصرانية وغلب على أرض مصر فتنصّروا ،  
وبقوا على ذلك إلى أن فتحها المسلمون في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ،  
فأسلم بعضهم وبقى بعضٌ على دين النصرانية ، ومذهبهم مذهب اليعاقبة .

وأما أخلاقهم فالغالب عليهم اتباع الشهوات ، والانهماك في اللذات ،  
والاشتغال بالترّهات ، والتصديق بالمحالات ، وضعف المرائر والعزّمات ، إلى غير  
ذلك مما حكاه أبو الحسين علي بن رضوان في ذلك واقتصّسه ، وأورده من الأمور  
الطبيعية وموجبه<sup>(٢)</sup> ، وكفى به حكماً منصفاً ، وشاهداً عدلاً .

وحكى الوصيفي في كتابه الذي ألفه في أخبار مصر أن أهلها في الزمن السابق  
كانوا يعتقدون أن هذا العالم ، الذي هو عالم الكون والفساد أقام برهةً من  
الدهر خالياً من نوع الإنسان ، عاسراً بأنواعٍ آخر غير الإنسان ، وأن تلك  
الأنواع مختلفةٌ على خلق فاذاة<sup>(٣)</sup> ، وهيئات شاذة ، ثم حدث نوعُ الإنسان  
ففازت تلك الأنواع فغلبها واستولى عليها ، وأفنى أكثرها قتلاً ، وشرّد ما بقي منها  
إلى القفار ، وأن تلك المشرّدة هي الغيلان والسعالى وغير ذلك ، مما حكاه من  
اعتقاداتهم المستحيلة ، وتصووراتهم الفاسدة ، وتوهّماتهم النافرة . إلا أنه يظهر من

(١) في الخطط : « على الإشارة إلى مواضعهم » .

(٢) كذا وردت هذه الكلمة .

(٣) الفاذاة : المنفردة . وفي الحديث : « هذه الآية الفاذاة » ، أى المنفردة في معناها .

أمرهم أنه كان فيهم طائفةٌ من ذوى المعارف والعلوم ، خصوصاً بعلم الهندسة والنجوم<sup>(١)</sup> . ويدلُّ على ذلك ما خلفوه من الأشغال<sup>(٢)</sup> البديعة المعجزة ، كالأهرام والبرابي ، فإنها من الآثار التى حيَّرت الأذهان<sup>(٣)</sup> [ الثاقبة ، واستعجزت الأفكار الراجحة ] ، وتركت لها شغلاً بالتعجب منها ، والتفكر فيها . وفى مثلها يقول أبو العلاء أحمد بن سليمان المعري فى قصيدته التى يرثى بها أباه<sup>(٤)</sup> :

تضلُّ العقولُ ألْهَبْرِيَّاتُ رَشْدِهَا      ولا يسلُّمُ الرأى القويمُ من الأَفْنِ  
وقد كان أربابُ الفصاحة كلِّمًا      رأوا حسنًا عدُّوه من صنعة الجنِّ

وأى شىء أعجبُ وأغربُ بعد مقدورات الله ومصنوعاته ، من القدرة على بناء جسم [ جسيم<sup>(٥)</sup> ] من أعظم الحجارة ، مربع القاعدة مخروط الشكل ، ارتفاع عموده ثلاثمائة ذراع ونحو سبعة عشر ذراعاً<sup>(٦)</sup> يحيط به أربعة سطوح ١٠ مثلثات متساويات الأضلاع ، طول كلِّ ضلع منها أربعة ذراع وستون ذراعاً<sup>(٧)</sup> وهو مع هذا العظم<sup>(٨)</sup> ، من إحكام الصنعة وإتقانها<sup>(٩)</sup> ، فى غاية من حسن التقدير بحيث لم يتأثر<sup>(١٠)</sup> إلى هلمَّ جراً<sup>(١١)</sup> بعصف الرياح وهطُّل السحاب ،

( ١ ) فى الخطط ( ١ : ١١٨ ) : « وخصوصاً علم الهندسة والنجوم » .

١٥ ( ٢ ) فى الخطط : « من الصنائع » .

( ٣ ) فى الأصل : « الآثار البعيدة من الأذهان » صوابه من الخطط .

( ٤ ) فى سقط الزند ( ١ : ١٩٦ ) بشرح التنوير .

( ٥ ) هذه من الخطط .

( ٦ ) فى الخطط : « تسعة عشر ذراعاً » . والذراع يذكر ويؤنث .

٢٠ ( ٧ ) فى النجوم الزاهرة ( ١ : ٩٨ ) تقلا عن أبى الصلت : « وسبعون ذراعاً » .

( ٨ ) فى الأصل : « مع هذا الطول منه » وكتب لزاءه : « فى العظم » بدلا من

« الطول منه » وأثبت ما فى الخطط .

( ٩ ) بدله فى الخطط : « وإتقان الهندام » .

( ١٠ ) فى الأصل : « وهو لا يتأثر » ، وأثبت ما فى الخطط .

٢٥ ( ١١ ) كذا ورد فى الأصل والخطط . ولعلها : « إلى اليوم وهلمَّ جراً » .

وزعزعة الزلازل . وهذه صفة كل واحد الهرمين المجاذيين للفسطاط من الجانب الغربي ، على ما شاهدناه منهما<sup>(١)</sup> .

وقال بعضهم وقد ذكر عجائب مصر : « وما على وجه الأرض بِنِيَّةٍ إلا وأنا أرثي لها من الليل والنهار ، إلا الهرمين فإنني أرثي لليل والنهار منهما » . وهذان الهرمان<sup>(٢)</sup> لهما إشرافٌ على أرض مصر وإطلالٌ [ على ] بطائحتها ، وإصعادٌ على ذراها . وما اللذان أراد أبو الطيب المتنبي بقوله :

أين الذي الهرمان من بُنيانه ما قومه ، ما يومه ، ما المصرع<sup>(٣)</sup>  
 كنا نظن دياره مملوءة ذهباً فمات وكلُّ دار بلقع<sup>(٤)</sup>  
 تتخلف الآثارُ عن أربابها حيناً ويُدرِكها الخراب فتتبع<sup>(٥)</sup>  
 واتفق أن خرجنا يوماً إليهما ، فلما أطفنا بهما واستدرنا حولهما كثر تعجبنا  
 منهما ، فتعاطينا القولَ فيهما ، فقال بعضنا<sup>(٦)</sup> :

بعيشك هل أبصرتَ أعجبَ منظراً على طول ما أبصرتَ من هرجي مصر<sup>(٧)</sup>  
 [ أنافا عينا للسماء وأشرفاً على الجوّ إشرافَ السَّهالكِ أو الذَّسْرِ ]<sup>(٨)</sup>

(١) في الأصل : « منها » ، والصواب في الخطط .

(٢) في الأصل : « أرثي لليل والنهار منها على وهذان الهرمان من أعظمها » وأثبت الصواب من الخطط .

(٣) من قصيدة له في ديوانه ( ١ : ٤٠٥ ) بشرح العكبري ، يرثي بها أبا شجاع فاتكا .

(٤) هذا البيت لم يورده القرزى ، وهو هنا في غير وضعه الطبيعي . وموضعه في الديوان بعد بيت يتلو الثالث هنا ؛ لأن ضمير « دياره » عائد إلى أبي شجاع في البيت المشار إليه ، وهو :

لم يرض قلب أبي شجاع مبلغ قبيل المات ولم يسهه موضع

(٥) في الخطط : « عن سكانها » . وفي الديوان : « عن أصحابها » .

(٦) في بدائه البدائه ١٣٦ أن الذي قال الشعر هو أبو الصلت نفسه .

(٧) بعد هذا في الأصل يابن بقدر صفحتين ، وقد وقعت لسيد هذا الفراغ مما قبله القرزى في الخطط ( ١ : ١١٨ - ١١٩ ) ؛ ووضعت هذا البيوت بين معقبي التكملة :

(٨) في بدائه البدائه : « أنافا بأ كتاب السماء » .

وقد وافياً نشراً من الأرض عالياً كأنهما نهدانٍ قاما على صدر<sup>(١)</sup> وزعم قومٌ أن الأهرام قبورُ ملوكٍ عظام ، آثروا أن يتميزوا بها على سائر الملوك بعد مماتهم ، كما تميزوا بها على سائر الملوك بعد مماتهم ، كما تميزوا عنهم في حياتهم ، وتوخوا أن يبقى ذكْرهم بسببها على تطاول الدهور وتراخي العصور .

- ولما وصل الخليفة المأمونُ إلى مصرَ أمرَ نقيبها ، فنقبَ أحدُ الهرمين المحاذيين للفسطاط بعد جهدٍ شديد ، وعناءٍ طويل ، فوجدوا داخله مهاويَ ومراقَ يهولُ أمرُها ، ويعسرُ السلوكُ فيها ، ووجدوا في أعلاها بيتاً مكعباً ، طول كل من أضلاعه نحوٌ من ثمانية أذرع ، وفي وسطه حوضٌ رخام مطبق ، فلما كشف غطاؤه لم يجدوا فيه غيرَ رمةٍ بالية ، قد أتت عليها العصور الحالية ، فعند ذلك أمر المأمون بالكفِّ عن نقب ما سواه . ويقال إن النفقة على نقبه كانت عظيمة ،<sup>١٠</sup> والمؤونة شديدة .

- ومن الناس من زعم أن هرمس الأول ، المدعو بالثلث بالنبوة والملك والحكمة ، وهو الذي يسميه العبرانيون خنوخ بن يرد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام — وهو إدريس عليه السلام — استدللَّ من أحوال الكواكب على كون الطوفان يعمُّ الأرض ، فأكثرَ من بُنيان الأهرام ، وإيداعها الأموال وصحائف العلوم ، وما يُشفق عليه من الذهب والدُّروس ، حفظاً لها ، واحتياطاً عليها . ويقال : إن الذي بناها ملك اسمه سوريد ابن سهلوق بن سرياق . وقال آخرون : إن الذي بنى الهرمين المحاذيين للفسطاط شداد بن عاد ، لرؤيا رآها . والقبط تنكر دخول العالقة بلد مصر ، وتحقق أن

(١) بعده في بدئه البدائه : « وصنع أبو منصور ظافر الحداد :

تأمل هيئة الهرمين وانظر	وبينهما أبو الهول العجيب
كماريتين على رحيل	بمجبورين بينهما رقيب
وفيض البحر بينهما دموع	وصيوت الريح بينهما نجيب
وظاهر سجن يوسف مثل صب	تخلف فهو محزون كئيب

بانيهما سوريد<sup>(١)</sup> ، لرؤيا رآها ، وهي أن آفة تنزل من السماء ، وهي الطوفان .  
 وقالوا إنه بناهما في مدة ستة أشهر ، وغشاهما بالديباج الملون ، وكتب عليهما :  
 « قد بنيناها في ستة أشهر ، قل لمن يأتي من بعدنا يهدمهما في ستائة سنة ،  
 فالهدم أيسر من البنيان ، وكسوناها بالديباج الملون فليكسهما حصراً ، فالحصر  
 أهون من الديباج » .

ورأينا سطوح كل واحد من هذين الهرمين مخطوطة من أعلاها إلى أسفلها  
 بسطور متضايقة متوازية ، من كتابية بانيها ، لا تعرف اليوم أحرفها ، ولا تفهم  
 معانيها . وبالجملة الأمر فيها عجيب ، حتى إن غاية الوصف لها والإغراق في العبارة  
 عن حقيقة الموصوف منها ، بخلاف ما قاله علي<sup>(٢)</sup> [ بن العباس الرومي ، وإن  
 تباعد الموصوفان ، وتباين المقصودان ، إذ يقول :

إذا ما وصفتَ اسراً لا مرىً فلا تغلُ في وصفه واقصِدِ  
 فإنك إن تغلُ تغلُ الظنُّ نٌ فيه إلى الغرض الأبعدِ  
 فيصغر من حيث عظَّمته لفضل المنَّيب على المشهدِ  
 وكذلك أمر البرابي ، كبريا إخميم ، وبربا سمنود<sup>(٣)</sup> ، وبربا دندرا<sup>(٤)</sup> ، فإن  
 فيها من الإحكام وجودة الشكل وحسن التصوير ، ما يدكُّ على أن عمارها

(١) في الجيوم الزاهرة : « سوريد وقيل سويد » .

(٢) إلى هنا ينتهي السقط الذي نبهنا عليه في الحاشية ٧ من صفحة ٢٦ .

(٣) في الأصل : « سمنود » صوابه من القرظي عند ذكر البرابي ، وقال ياقوت :  
 « كورة السنودية كان فيها بربا وكانت إحدى العجائب . قال القاضي : ذكر عن أبي عمرو  
 الكندي أنه قال : رأيتُه وقد خزن فيه بعض عمالها قرظاً ، فرأيت الجمل إذا دنا من بابه وأراد  
 أن يدخله سقط كل ديبب في القرظ ، ولم يدخل منه شيء إلى البربا . ثم خرب عند  
 الحسين وثلاثمائة » .

(٤) في الأصل : « ديدرا » وإنما هي « دندرا » أو « دندرة » أو « أندرا » كما في  
 معجم البلدان . وفي بربا دندرة يقول القرظي : « وهو بربا عجيب ، فيه ثمانون ومائة كوة  
 تدخل الشمس كل يوم من كوة منها ، ثم الثانية حتى تنتهي إلى آخرها ، ثم تكرر راجعة ، إلى  
 موضع بدئها » . وأشد ياقوت في مطلع أبيات :

إن فاض بدندرا قال بيتين سطرا

ذوو عقول راجحة ، وأنه قد كانت لهم بالحكمة عناية بالغة ، لا سيما بصناعتى الهندسة والنجوم .

وقال بعض أهل العناية بأخبار الأمم وتواريخهم : كان بمصرَ بعد الطوفان علماء بضروب الحكمة ، من العلوم الرياضيّة والطبيعية والإلهيّة ، ومتحقّقون بعلم المَرايا المحرّقة ، وبالطلّسمات والنّير نجيات وغير ذلك .

والمَلِك بمصرَ بن قديم الزمان بمدينة منف ، وهى فى غربى النيل ، على مسافة اثنى عشر ميلا من القسّطاط . ولما بنى الإسكندُرُ مدينةَ ( الإسكندرية ) منذ نحو ألف سنة وأربعمائة سنة وأربعين سنة ، رَغِبَ الناسُ فى عمارتها<sup>(١)</sup> ، وكانت دارَ العلم ، ومقرّ الحكمة ، إلى أن تغلّب عليها المسلمون فى خلافة عمرَ بن الخطاب ، رضوان الله عليه ، واختط عمرو بن العاص مدينةه المعروفة ( بالقسّطاط ) فانسرب أهلُ مصرَ وغيرهم من العرب والمعجم إلى سكناها ، فصارت قاعدةَ ديارِ مصر ومركزها إلى وقتنا هذا .

فيقال إن من قدماء أهل العلم بها هرمس الثالث<sup>(٢)</sup> ، وكان فيلسوفاً جَوّالاً فى البلاد ، طوفاً فى المدائن ، عالماً بنُصبتها<sup>(٣)</sup> ، وطوالها وطبائع أهلها ، وله تصانيف جليلة مفيدة فى فنون من الحكمة .

ومنهم ديوفنطس<sup>(٤)</sup> صاحب المقالات الموضوعة فى علم العدد وخواصه على طريق الجبر والمقابلة .

(١) فى الأصل : « وأعجب فى عمارتها » صوابه من القرينى ( ١ : ١٣٥ ) .

(٢) فى الأصل : « هرمس الثالث » والصواب ما أثبت من عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة

( ١ : ١٧ ) حيث ذكر الهرامسة الثلاثة ، وقال فى هرمس هذا : « وأما هرمس الثالث فإنه سكن مدينة مصر ، وكان بعد الطوفان » . وأما هرمس الثانى فهو كلدانى من أهل بابل . وهرمس الأول مصرى كان قبل الطوفان ، وهو عند العرب إدريس عليه السلام .

(٣) فى الأصل : « بنصبها » ، وفى عيون الأنباء : « عالماً بنُصبة المدائن وطبائعها » .

(٤) ذكره ابن أبى أصيبعة فى ( ١ : ٢٤٥ ) فى أثناء ترجمة « قسطان لوقا » ، قال :

« كتاب فى ترجمة ديوفنطس فى الجبر والمقابلة » . وذكره أيضاً عرضاً فى ترجمة ابن الهيثم ( ٢ : ٩٨ ) .

ومنهم الإسكندراني<sup>(١)</sup> صنف كتاب الأفلاك ، وكتاب القانون في تقويم الكواكب .

ومنهم روسم<sup>(٢)</sup> صاحب التصانيف في الكيمياء .

ومنهم أنفلاؤس الإسكندري<sup>(٣)</sup> وأصحابه ، الذين اختصروا كتب جالينوس في صناعة الطب ، وألفوها على طريق المسألة والجواب ، يدلُّ حسن اختصارهم لها على وفور علمهم ، وفضل معرفتهم .

ومنهم واليس<sup>(٤)</sup> صاحب الكتاب المعروف بالبريدج الرومي ، المصنّف في المواليد وما يتقدمها من المدخل إلى علم أحكام النجوم . ويقال إنه الذي استخرج بطول التحريّ<sup>(٥)</sup> ومواصلة العناء ، جدود المصريين .

فهؤلاء هم المشهورون من أهل الحكمة بمصر في ذلك الزمان . وأما زماننا هذا فقد دثر منها كلُّ علمٍ واثمى رسمه ، وجُهل اسمه ، ولم يبق إلا رِعاغ وغُشاء وبجَهلة وهما ، وعائمة عمياء ، وجُلهم أهل رُحانة<sup>(٦)</sup> ولم خبيرة بالسكيد والمكر ، وفيهم

(١) لعله « أقطين الإسكندراني » . قال الففطى في أخبار الحكماء ( ٥٠ ) : « كان عالماً بالرياضة محققاً للأرصاء خبيراً بعمل آلاتها » . اجتمع هو وميطن على الرصد بمدينة الإسكندرية من الديار المصرية ، ورصدا وأثبتا ما تحقّقا ، وتداوله العلماء بعدهم إلى زمن بطليموس القلوزى الراصد بالإسكندرية . وكان زمنهما قبل زمانه بخمسة وأحدى وسبعين سنة .

(٢) ذكره الففطى في ص ١٢٧ ، بلفظ « روشم » ، قال : « روشم المصرى ، هذا الرجل كان بمصر قبل الإسلام ، وهو قيم بعلوم الكيمياء وأصولها وتفصيلها وأحكام أمر تركيبها ... وله في ذلك كتب جليلة مشهورة عند علماء هذا النوع يقفاسون في تحصيلها والظفر بها » .

(٣) ترجم له الففطى في ( ٥١ — ٥٢ ) وابن أبي أصيبعة في ( ١ : ١٠٣ — ١٠٤ ) (٤) ذكره الففطى في ( ١٧٢ ) قال : « فاليس المصرى ، وربما قبل واليس الرومى ، كان حكيماً فاضلاً في الزمن الأول بعلوم الرياضة وأحكام النجوم . وله في ذلك المؤلفات الجليلة المشتملة من هذا النوع على المقاصد الجليلة . وهو مؤلف الكتاب المشهور بين أهل هذه الصناعة ، المسمى بالبريدج الرومى » .

(٥) في الأصل : « التجربة » .

(٦) المعروف في هذا المصدر : الرعن ، والرعوثة .

بالبطرة قوة عليه وتلطف فيه وهدايةً إليه ، لِمَا في أخلاقهم من اللقى والسياسة<sup>(١)</sup>  
التي أربوا فيها على كلِّ مَنْ تقدّم وتأخّر ، وخصّوا بالإفراط فيها دون جميع الأمم ،  
حتى صار أمرهم في ذلك مشهوراً ، والمثلُ بهم مضروباً .  
وفي خبثهم ومكرهم يقول أبو نواس<sup>(٢)</sup> :

• مَحَضُّكُمْ يَا أَهْلَ مِصْرَ نَصِيحَتِي      أَلَا فَخِذُوا مِنْ نَاصِحِ بَنِيصِبِ<sup>(٣)</sup>  
رَمَا كُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِحَيَّةِ      أَكُولِ لِحَيَاتِ الْبِلَادِ شَرُوبِ  
[ وَلَا تَتَّبِعُوا وَثْبَ السَّفَاةِ فَتَرَكِبُوا      هَلِي حَدًّا حَامِي الظَّهْرِ غَيْرِ رَكُوبِ<sup>(٤)</sup>  
فَإِنْ يَكُ بَاقِي إِنْكَ فِرْعَوْنَ فِيكُمْ      فَإِنْ عَصَا مُوسَى بِكَفِّ خَصِيبِ

\*\*\*

- وأما حال المنتسبين إلى العلم منهم فأنا ذا كر منها ماوقفت عليه ، وكشفت بالهفوة  
عنه . كنت في أول جلوسى بها شديد العناية بكتب جالينوس وبقراط ، باحثاً  
عن مُشكلاتها ، فاحصاً عن مستغلقها ، فخرّصت كلَّ الحرص ، وجهدت كلَّ الجهد  
على أن أجد من أهل هذه الصناعة مَنْ استفيد منه وأستزيد بمذاكرته ، وأقدح  
خاطري بمفاوضته ، فلم أجد غير قومٍ طبع الله على قلوبهم وأعمى أبصارهم ،  
وطمس أفهامهم ، وحال بين الحكمة وبينهم ، فكانوا وإيأى ، كما قال الشاعر :

قومٌ إذا جالسْتَهُمْ      صدتْ بقرْبِهِم العُقُولُ  
لا يُفْهَمُونِي قَوْلَهُمْ      ويدقُّ عنهم ما أقولُ  
فهمٌ كثيرٌ بي كما      أني بجمعهم قليلُ

(١) في الخطط ( ١ : ٤٩ ) : « اللقى والبشاعة » .

(٢) الأبيات الأربعة في ديوانه ( ١٠٣ — ١٠٤ ) يمدح بها الخصب أمير مصر .

(٣) في الديوان : « منحك يا أهل مصر » .

(٤) التكملة من الديوان ( ١٠٣ ) ، وموضعا بياض في الأصل . حامى الظهر : هو

البعير الذي حمى ظهره فيترك فلا ينتفع منه بشيء ولا يمنع من ماء ولا صرعى . وفي الأصل :

« حامى الظهر » صوابه من الديوان . والبيت لم يرد الخطط .

وقد تخلّفوا بكثرة الخلاف ، وقلة الإنصاف ، ولزموا البهت والمعاندة ،  
والشغب والمكابرة ، وجهلهم بصناعة الكتب وخلوهم من أدواتها ، وعدمهم  
لعددتها وآلاتها ، وإهمالهم لشرائطها ، وإغفالهم للوازنها ، وقصور أذهانهم عن  
إدراك دقائقها ، وبعده عقولهم عن تصوّر حقائقها ، ولم يعلموا أنّ الطيب محتاج إلى  
أشياء تعينه في صناعته وتفتح له مغالقتها ، وتوضح مشكلها ، وتشرح مشتبهها ،  
وتبين له مستعجمها ، وتذيقه برد اليقين<sup>(١)</sup> ، وتجلو عن عين بصيرته ظلم الشكوك  
والظنون ، وهي العلوم الطبيعية التي تعرفه مبادئها وأوائلها ، وتعطيه استقصاتها  
وعناصرها<sup>(٢)</sup> ، والقوانين القياسية التي تسدّد ذهنه نحو الصواب فيما يلتمس  
علمه ، ويتطأّب فهمه ، وتعرفه كيف يُحيل<sup>(٣)</sup> مطلوباتها إليها ، ويبنى قياساته  
عليها ، وكيف يتطرّق من جليتها إلى خفيها ، ويستدلّ بظاهرها على غائبها ،  
ويأمن الزلل ، ووقوع الخطل والخلل ، ويحقّق الأسباب والعلل .

ولا بدّ لمن أراد أن يكون طيبيا كاملا ، وحكيا فاضلا ، من النظر في العلوم  
الرياضية ، ولا سيما النجومية منها والموسيقاوية . وأولى الناس بأن يكون على هذه  
الصنفة أطباء الملك التّبعي الأملئ ، الذي إنما يستعمل الطيب والمنجم على جهة  
الاستظهار ، لا على جهة الافتقار والاضطرار . وكيف ونظره الأعلى ، وقدره  
المعلّى ، وسهمه الأمدّ ، وباعه الأمدّ . ومن كان مثله — ولا مثل له في تطبيق  
المفاصل ، وإصابة الشواكل — فخليق به أن يختار ، ولا يُختار ، ويستبدّ ،  
ولا يستمدّ .

(١) في الأصل : « برد النفس » والوجه ما أثبت .

(٢) الأستقص ، ويقال الأستقصص ، هو الشيء البسيط الذي منه يتركب المركب ،  
كالجارية والقراميد والجدوع التي يتركب منها القصر ، وكالحروف التي منها يتركب الكلام ،  
وكالواحد الذي يتركب منه العدد . والاسطقسات الأربعة هي النار والهواء والماء والأرض ،  
انظر مفاتيح العلوم للخوارزمي ( ٨٢ ) .

(٣) في الأصل : « يحلل » .

هيهت أن يأتي الزمانُ بمثله إنَّ الزمانَ بمثله ليخيلُ

فلما [ لم ] يأخذوا نفوسَهم بالإتقان لما قد سلفَ تعديده ، بل استطالوه ، واستبعدوا الأمدَ إليه ، ورأوا أنَّ غرضَهم من صناعةِ الطبِّ الذي هو عندهم وبحسبِ رأيهم ، التَّكسُّبُ بما يتمُّ لهم بأقربَ مما شرطه الأوائلُ مصلولاً ، وأسهلَ صراماً ، لم يحفظوا<sup>(١)</sup> غيرَ أسماءِ أدويةٍ قليلةٍ للعددِ يصرِّفونها في مداواةِ كلِّ مريضٍ دونَ إعمالِ فكرٍهم في حقيقةِ نوعه وسببه ، ومقتضيه وموجبه .

وقد ذمَّ جالينوسُ من فِرَقِ الطبِّ الثلاثِ الفرقةَ الجبيليةَ<sup>(٢)</sup> ، لحدقِها جميعَ لوازمِ الصناعةِ الطبية ، واقتصارِها في المداواةِ على النَّظرِ في المرضِ ، هل من جنسِ الاستفراغِ فيقابلِ بالإمساكِ ، أو من جنسِ الإمساكِ فيقابلِ بالاستفراغِ ، دونَ الفحصِ عن أمرِ المزاجِ والسَّنِّ والسَّجِيَّةِ ، والبلدِ والعادةِ والمساهيةِ . فما ظنك ١٠ بجالينوسَ لو شاهدَ هؤلاءَ الذين لا يثبُتون على نِحلةٍ ، ولا ينتسبون إلى فرقةٍ ، فإن برئ على أيديهم عليلٌ فبرؤهُ على جهةِ الاتِّفاقِ ، وإن هلكَ فبالواجبِ والاستحقاقِ ، وهم كما قال الشاعر في مثلهم :

وطبيبٌ مجرَّبٌ ما له بالثُّججِ في كلِّ ما يجربُ عادةً  
١٥ مرَّةً يوماً على عليلٍ فقلنا قرَّ عيناً فقد رُزقتَ الشَّهادةَ  
أو كما قال الآخرُ في بعضِ حكائنا المشهورين عند العوامِ بالحدقِ والتقدمِ :  
قل للوَّكَا أنت وابنُ زُهْرٍ قد جزتما الحدَّ والنَّهايةَ  
ترفقا بالورَى قليلاً في واحدٍ منكما كفايه  
أو كما قال بعضُ أهلِ العصرِ أيضاً فيهم :

٢٠ وطبيبٌ مُشعِذٌ يمزجُ الطبَّ بالرُّقى

(١) في الأصل : « فلم يحفظوا » .

(٢) في الأصل : « الفرق الجبيلية » .

ما رأينا قط طبَّ عليلاً فوقاً  
بل عَدِمَ الصَّحَّةَ في الجِسمِ والقلبِ والبقا  
ذو صفاتٍ تُغادرُ الجِسمَ بما به لَقِيَ  
عادماً للحَرَكَ والحَسَّ والخِفَّةَ والنقا<sup>(١)</sup>  
قد سقاها بها الجِمامَ ولم يَدِرِ ما سقى

وقال آخر :

ما خَطَرَ النَبْضُ على باله يوماً ولا يَعْرِفُ ما الماءُ<sup>(٢)</sup>  
بل ظنَّ أن الطَّبَّ دُرَاعَةٌ وُلْحِيَةٌ كالقطنِ بيضاء<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

١٠ ومن ظريف ما سمعته أنه كان بمصر منذ عهد قريب رجل ملازم للمارستان  
يُستدعى للمرضى كما تستدعى الأطباء ، فيدخلُ على المريض فيحكى له حكاياتٍ  
مضحكة ، وخرافاتٍ مسلية ، ويُخرج له وجوهاً مضحكة ، وكان مع ذلك لطيفاً  
في إضحائه وبه خبيراً ، وعليه قديراً ؛ فإذا انشرح صدرُ المريض وعادت إليه  
قوتُهُ تَرَكَه وانصرف ، فإن احتاج إلى معاودة المريض عادته إلى أن يبرأ ، أو يكون  
١٥ منه ما شاء الله .

فليت أطباء عصرنا هذا بأسرهم قدروا على مثل هذا العلاج الذي لا مضرة  
فيه ولا غائلة له ، بل أمره على العليل هين ، ونفعه ظاهر بين ؛ كيف لا وهو  
ينشط النفس ويبسط الحرارة الغريزية ، ويقوى القوى الطبيعية ، ويقوى  
البدن على دفع الأخلاط الرديئة المؤذية والفضول ، مع الاستظهار بحفظ الأصول .  
٢٠ وأكثر أطباؤها المبرزين<sup>(٤)</sup> نصارى ويهود ، وفي ذلك يقول بعضهم :

(١) موضع هذه الكلمة بياض في الأصل .  
(٢) يعنى اختبار ماء المريض ، وهو بوله .  
(٣) الدراعة ، كرمانة : جبة مشقوقة القدم .  
(٤) في الأصل : « الزيرقين » .

أقول للمسلمين طرّاً تَبْقُونَ في طَبَّنَا<sup>(١)</sup> اشتهاراً  
هياتَ حاولتمُ محالاً كونوا إذاً هوداً أو نصارى

- <sup>(٢)</sup> وأشبهه من رأيته منهم وأدخله في عداد الأطباء ، رجلٌ من اليهود يدعى  
أبا الخير سلامة بن رحمون ، فإنه لقي أبا الوفاء<sup>(٣)</sup> المبشر بن فاتك<sup>(٤)</sup> ، فأخذ  
عنه شيئاً من صناعة المنطق تخصّص به وتميّزَ عن أضرابه ، وأدرك أبا كثير بن  
الزفان<sup>(٥)</sup> تلميذ أبي الحسن على بن رضوان<sup>(٦)</sup> ، وقرأ عليه بعضَ كتبِ جالينوس ،  
ثم نصبَ نفسه لتدريس جميعِ كتب المنطق ، وجميعِ كتب الفلاسفة الطبيعية  
والإلهية ، وشرح بزعمه وفسّر وخلص ، ولم يكن بذاك<sup>(٧)</sup> في تحصيله وتحقيقه ،  
واستقصائه عن لطيف العلم ودقيقه ، بل كان يكثرُ<sup>(٨)</sup> كلامه فيفضل ، ويسرع  
جوابه فيزِل . ولقد سألتُه في أول لقائي واجتماعي به ، عن مسائلٍ استفتحت  
مباحثته<sup>(٩)</sup> بها مما يمكن أن يفهما من لم يمتدَّ بعد في العلم بأعه ، ولم يكثر تبجّره  
واتساعه ، فأجاب عنها بما أبان عن تقصيره ونطق بمجزه ، وأعربَ عن سوء

(١) في الأصل : « طبها » .

(٢) النص التالي نقله الففطى في إخبار العلماء ( ١٤٢ — ١٤٣ ) ، وكذلك ابن أبي

أصيبة ( ٢ : ١٠٦ ) .

(٣) بعد هذه تبتدى القطعة المحفوظة بدار الكتب رقم ٣٥٤ تاريخ من الرسالة المصرية

وسأشير إليها في التعليقات برمز « ق » .

(٤) ترجم له الففطى ( ١٧٦ — ١٧٧ ) وقال : « هذا رجل أصله من دمشق

وموطنه مصر ، وهو من الحكماء الأماثل في علم الأوائل ... وكانت له ابنة عمرت بعده وروت

بإسكندرية أحاديث نبوية . وكان في آخر المائة الخامسة للهجرة » .

(٥) عند الففطى : « السكندر البرقاني » تحريف . وأبو كثير كنية له ، واسمه أفرائيم

ابن الزفان ، قال ابن أبي أصيبة في ( ٢ : ١٠٥ ) : « إسرائيل الذهب ، وهو من الأطباء

المشهورين بديار مصر » . وقد اشترى منه الأفضل بن أمير الجيوش عشرة آلاف مجلد من

كتبه ، كان قد ساوم عليها بعض العراقيين .

(٦) انظر ترجمته عند ابن أبي أصيبة ( ٢ : ٩٩ ) .

(٧) ق وابن أبي أصيبة : « ولم يكن هناك » . وعند الففطى : « ولم يكن هناك » .

(٨) في الأصل : « تراه يكثر » ، وأثبت ما في سائر المصادر .

(٩) في الأصل : استبجحت مباحثه بها ، صوابه في سائر المصادر .

تصوّره وفهمه . وكان مثله في عِظَم دعاويه ، وقصوره عن أيسر ما هو متعاطيه<sup>(١)</sup>  
كقول الشاعر :

يشمّر للبحّ عن ساقه وينغمره الموج في السّاحلِ

أو كما قال آخر :

تمنيتُم مائتي فارس فردكم فارساً واحداً<sup>(٢)</sup>

وكان<sup>(٣)</sup> بمصر طبيب من أهل أنطاكية يسمى « جرجس » ، ويلقب  
بالفيلسوف ، على نحو ما قيل في الغراب : أبو البيضاء ، وفي اللديغ : سليم ، وقد  
تفرغ للتولّع [ بأبي الخير سلامة بن رحمون اليهودي الطبيب المصري<sup>(٤)</sup> ] والأجزاء  
عليه ، وكان يزور فصولاً طبيّة وفلسفيّة يُبرزها في معارض ألقاها القوم ، وهي  
مُحال لا معنى لها ، وفارغة لا فائدة فيها ، ثم يُنفذها<sup>(٥)</sup> إلى من يسأله عن معانيها ،  
ويستوضحه أغراضها ، فيتكلم عليها ويشرحها بزعمه دون تيقن<sup>(٦)</sup> و [ لا<sup>(٧)</sup> ]  
تحفظ ، بل باسترسال واستعجال ، وقلة إكتراثٍ وسوء اهتبال ، فيؤخذ منه<sup>(٨)</sup>  
ما يُضحك منه ويشرح الضنّدر .

[ وأنشدت<sup>(٩)</sup> ] لجرّس هذا فيه ، وهو من أحسن ما سمعته في هجو طبيب

مشؤوم<sup>(١٠)</sup> ، وأنا متهم له فيه :

( ١ ) في الأصل : « نشر ما هو متعاطيه » صوابه في سائر المصادر .

( ٢ ) إلى هنا ينتهي نقل اللفظ في ١٤٢ — ١٤٣ . وانظر البيان ( ١ : ٢٤٩ ) .

( ٣ ) النص التالي نقله اللفظي في ١٠٩ وابن أبي أصيبعة في ( ٢ : ١٠٦ — ١٠٧ ) .

( ٤ ) التكملة من اللفظي . وبنقلها عند ابن أبي أصيبعة : « ابن رحمون » .

( ٥ ) ق فقط . « ثم ينفذ بها » .

( ٦ ) ق فقط : « تيقن » .

( ٧ ) منه من اللفظي وابن أبي أصيبعة .

( ٨ ) اللفظي وابن أبي أصيبعة : « فيوجد فيها عته » .

( ٩ ) هذه من ق واللفظي وابن أبي أصيبعة .

( ١٠ ) كلمة « مشؤوم » وما بعدها ساقط من ق . وفي نسخة الأصل : « ومن أحسن

ما قيل في ذم الطبيب الجاهل » .

إنَّ أبا الخير على جهله      يخفُّ في كِفِّته الفاضلُ  
عليه المسكينُ من شومه      في بحرِ هُلكِ ماله ساحلُ  
ثلاثةٌ تدخل في دفعة      طلعتُه والنعشُ والفاصلُ  
ولبعضهم :

• لأبي الخير في العِلا      ج يدُّ ما تقصَّرُ  
كلُّ من يستطبه      بعد يومين يُقبرُ  
والذي غاب عنكم      وشهدناه أكثر<sup>(١)</sup>  
ومما قيل فيه :

جنونُ أبي الخير الجنونُ بعينه      وكلُّ جنونٍ عنده غايةُ العقلِ  
خُذوه فقلوهُ وشُدُّوا وثاقه      فما عاقلٌ من يستهين بمختلِّ  
وقد كان يؤذى الناسَ بالقول وحدهُ      فقد صار يؤذى الناسَ بالقول والفعلِ

وأما المنجمون الآن بمصر فهم وأطبائهم كما قدَّ الشراك من الجلد ، بل كما  
حدّيت النعلُ بالنعل ، لا يتعلق أمثلهم من علم النجوم بأكثر من زايجة يرسمها<sup>(٢)</sup>  
ومرا كزٍ يقومها . فإما الإمعان والتبحُّر في معرفة الأسباب والعلل<sup>(٣)</sup> ، والمبادئ

(١) في نسخة الأصل : « وسمنا بوصفه » . وأثبت ما في ق وابن أبي أصيبعة . ولم يرو  
القطبي هذه الأبيات .

(٢) جاء في « مفاتيح العلوم » للخوارزمي ١٢٧ : « الزايجة هي صورة مريحة  
أو مدورة تعمل لمواضع الكواكب في الفلك لينظر فيها عند الحكم لمولد أو غيره . واشتقاقه  
بالفارسية من زائش ، أي المولد ، ثم أعربت الكلمة فاستعملت في المولد وغيره » . وجاء في  
معجم استينجاس ( ٦٠٨ ) : « زايجة astronomical tables » أي الجدول الفلكية .  
وفي نسخة الأصل : « زايجة » وأثبت ما في ق . والزايجة هي — كما ذكر ابن خلدون  
في المقدمة — فرع من فروع علم السيبيا ، يمكن بها استخراج الأجوبة من الأسئلة بارتباط بين  
الكلمات . فن الزايجة المنظومة يستطيع معرفة الأجوبة بطرق خاصة ، وحساب معين يدخل فيه  
الجمع والطرح والضرب . وهناك كلمة أخرى مماثلة ، وهي الزيج ، وتجمع على أزياج . والنزيج :  
صناعة حسابة بقوانين عديدة يمكن بها معرفة الفهور والأيام والتواريخ للماضية والمستقبلية ،  
وهو الدستور لما يسمى عند الفلكيين بالتقويم .

(٣) هذا ما في ق . وفي نسخة الأصل : « ومعرفة الأسباب والعلل » .

الأول ، فليس منهم من يرقى إلى هذه الدرجة ، ويسمى إلى هذه المرتبة ، ولا يخلق في هذا الجو ، ويستضىء بهذا الضوء<sup>(١)</sup> إلا أبو الحسن علي بن النصر<sup>(٢)</sup> المعروف بالأديب ، رضى الله عنه ، من أهل صعيد مصر الأعلى ، فإنه كان من الأفاضل [ الأعيان<sup>(٣)</sup> ] ، المعدودين من حسنات هذا الزمان<sup>(٤)</sup> . وسندكره فيما نستأنفه إن شاء الله تعالى .

\*\*\*

وأما الطائفة المقلدة التي حظها من المعارف القشور دون اللبوب<sup>(٥)</sup> ، والظواهر دون البواطن ، والأشباح دون الأرواح ، فأمثل من بها منهم الآن رجل يعرف برزق الله النحاس<sup>(٦)</sup> ، فإن له في فروع هذه الصناعة بعض دُرْبَة وتجربة ، وبتجربياتها<sup>(٧)</sup> بعض خبرة ، وهو أكبر المنجمين بها وكبيرهم الذى علمهم ، وأميرهم الذى يلوذون به<sup>(٨)</sup> ، فجميعهم إليه منسوب ، وفي جريدته مكتوب ، وبفضله معترف ، ومن بحره<sup>(٩)</sup> مغترف ، وهو شيخ مطبوع يتطايب ويتخالع<sup>(١٠)</sup> .

ومن حكاياته الظريفة عن نفسه قال : سألتنى امرأة مصرية أن أنظر لها في مسألة جُمَلِيَّة تخصها ، فأخذت ارتفاع الشمس للوقت ، وحتقت درجة الطالع والبيوت الاثني عشر ومركز الكواكب ، ورسمت ذلك كله بين يدي في

( ١ ) فى الأصل : « ولا يخلق » و « لا يستضىء » وأثبت ما فى ق .

( ٢ ) فى الأصل : « ابن النصر » بالصاد المهملة . وأثبت ما فى ق .

( ٣ ) هذه من ق .

( ٤ ) ق : « من حسنات الزمان » .

( ٥ ) فى اللسان : « ولب الجوز واللوز ونحوهما : ما فى جوفه ، والجمع اللبوب » .

ق : « اللباب » ، وما أثبت من الأصل أوفق .

( ٦ ) فى الأصل : « بن النحاس » وصوابه فى ق والفقطى ١٢٧ .

( ٧ ) فى الأصل : « وبجربياتها » وأثبت ما فى ق . وعند الفقطى : « وبجربياتها » .

( ٨ ) ق : « الذى نوه بهم وقدمهم » وعند الفقطى : « وكبيرهم الذى علمهم السحر » فقط .

( ٩ ) فى الأصل : « ومن علمه » وأثبت ما فى ق .

( ١٠ ) يتخالع : يظهر الخلاعة . وفى الأصل : « يتخالق » صوابه فى ق .

- تَخَتَ الحِسابَ<sup>(١)</sup> ، وجعلت أتكلم على بيت بيت منها على العادة ، وأنا في خلال ذلك أحمس أمرها<sup>(٢)</sup> وهي ساكتة لا تنبس ، فوجتُ لذلك وأدرگتني فترة عظيمة ، وألقت إلى درهما<sup>(٣)</sup> . قال : فعادتُ الكلام وقلت : أرى عليك قطعاً في بيت مالك<sup>(٤)</sup> فاحتفظي واحترزي ! فقالت : الآن أصبتَ وصدقت ، قد كان والله ما ذكرت . قلت : وهل ضاع لك شيء ؟ قالت : نعم ، الدرهم الذي ألقيته إليك ! وترگتني وانصرفت .

\* \* \*

- والمصريون أكثرُ الناسِ استعمالاً لأحكام النجوم وتصديقاً لها وتعويلاً عليها ، وشغفاً بها وسكوناً إليها ، حتى إنه قد بلغ من زيادة أمرهم في ذلك إلى أن لا يتحرك واحدٌ منهم حركةً من الحركات الجزئية التي لا تُحصَرُ فنونها ولا تحصل أجزاءها وأنحائها ، ولا تُضبطُ جهاتها ، ولا تُقيَّدُ غاياتها<sup>(٥)</sup> ، ولا تعدُّ ضروبها إلا في طوابع يختارونها ، [ ونُصبُ يعتمدونها<sup>(٦)</sup> ] .
- ولقد شهدتُ يوماً رجلاً من الواقدين في أثون الحمام<sup>(٧)</sup> ، يسأل رزق الله ذكور عن ساعة حميدة لقص أظفاره ، فتمجبت من سمو همتها على خسارة قدره<sup>(٨)</sup> ، ووضاعة مهنته .

ومن الحكايات العجيبة في فرط استعمالهم لأحكام النجوم وعنايتهم بها ،

- (١) هذا ما في ق ، وفي الأصل : « في التخت » .  
 (٢) ق : « أحمس لها » .  
 (٣) القفطي : « وكانت قد ألقت إلى درهما » .  
 (٤) هذا ما في ق والقفطي ، وفي الأصل : « ضياع بيت مالك » .  
 (٥) ق : « ولا تقدر أساليبها » .  
 (٦) هذه من ق .  
 (٧) ق : « أثون حمام » .  
 (٨) ق : « مع خسارة قدره » .

ما شهدت بالصعيد الأملى . وذلك أن بعضَ الولاة حبس رجلاً من [ بعض<sup>(١)</sup> ] أهل تلك القاحية كان ينظر في علم العجوم ، وشفع<sup>(٢)</sup> إليه فيه من يكرّم عليه ، فشغفه فيه ، وأسر بإطلاقه وكان من الحبس في عذاب واصب ، وجهد ناصب ، فلما أتوه وقالوا له : انطلق لشأنك<sup>(٣)</sup> ، أخرج من كتمه أصرط لآباً فنظر فيه ثم أخذ طالعَ الوقت فنظر فيه ، فوجده مذموماً ، فسألهم أن يتركوه مكانه<sup>(٤)</sup> إلى أن يتفق وقت يصلح للخروج من السجن ، فعادوا إلى الولى فأخبروه بخبره<sup>(٥)</sup> ، فضحك منه وتعجب من جهله ، وفساد عقله ، وأجابه إلى سؤاله ، وتركّه على حاله ، وأطل بدّة اعتقاله .

وفى أوردته من أخبار الأطباء والمنجمين الآن بمصرَ كفايةً وبلاغ ، إلى أن انتصب له انتصاباً ثانياً ، فأقول فيه قولاً شافياً .

\*\*\*

وأما الآن فإنى ذا كرت على الشرط من لقيته من أدبائها وظرفاتها ، وفضلاتها في الأدب وعلماها .

وأولاهم بالتقديم ، وأحقهم بالحظ الأوفر من التعظيم « القاضى أبو الحسن على ابن النصر<sup>(٦)</sup> » المعروف بالأديب ، ذو الأدب الجم والعلم الواسع ، والفضل البارع . وله فى سائر أجزاء الحكمة اليد الطولى ، والرتبة الأولى . وقد كان ورد الفسطاط يلتبس من وزيرها الملقب بالأفضل تصرفاً وخدمة فخاب فيه أمله ، وضاع

(١) هذه من ق .

(٢) ق : « شفغ » .

(٣) ق : « لسيلك » .

(٤) فى الأصل : « أن يصبروا عليه » ، وأثبت ما فى ق .

(٥) فى الأصل : « خبره » ، وأثبت ما فى ق .

(٦) فى الأصل : « النصر » بالهملة ، تحريف صوابه فى ق والخريجة (٣ : ١٩٥)

من مخطوطة دار الكتب رقم (١٠٠٩٨ ز) والطالع السعيد للأدقوى . حيث ذكر أنه

كان أحد عمال الديار المصرية فى زمن الأفضل شاهنشاه .

رجاؤه ، وأخفق سعيه ، فقال من قصيدة يعاتب فيها الزمان ، ويشكو الخلية  
والحرمان :

بين التعزُّزِ والتذلُّلِ مسلكٌ      بادي المنارِ لعينِ كلِّ موفِّقٍ  
فاسلكه في كلِّ المواطنِ واجتنبُ      كبيرِ الأبيِّ وذلةَ التملُّقِ  
ولقد جلبت من البضائعِ خيرَها      لأجلِ مختارِ وأكرمِ مُتَّقٍ<sup>(١)</sup>  
ورجوتُ خَفَضَ العيشِ تحتِ رواقه      لا بدَّ إنْ نَفَقْتُ وإنْ لمْ تَنفُقِ<sup>(٢)</sup>  
ظنًّا شبيهاً بالبقينِ ولمْ أخَلْ      أنَّ الزمانَ بما سَقاني مُشْرِقِ  
ولعائبي بالحرصِ قولُ بين      لو كنتِ شِمتَ سحابةً لمْ تطرُقِ<sup>(٣)</sup>  
ما ارتدَّتْ إلاَّ خيرَ مرْتادٍ ولمْ      أصِلِ الرجاءُ بجبلِ غيرِ الأوثُقِ<sup>(٤)</sup>  
وإذا أبى الرزقَ القضاةَ على امرئٍ      لمْ تُفْنِ فيه حيلةُ المسترزُقِ<sup>١٠</sup>  
ولعمرُ عاديةِ الخطوبِ وإنْ رمت      شملِي بسهمِ تَشْتَتِ وتفرِّقِ<sup>(٥)</sup>  
لأفارعنَّ الدهرَ دوفَ مروءتي      وحرِمتُ عزَّ النصرِ إنْ لمْ أصدُقِ<sup>(٦)</sup>  
وله في سفرته هذه<sup>(٧)</sup> وقد قوى يأسه من بلوغِ أمله ونيلِ بُغيته ، وعزَمَ على  
الصَّدْرِ<sup>(٨)</sup> عن القسْطاطِ إلى مستقرِّه . يحضُّ على الزَّهَّادة ، ويحرِّضُ على القنَّاعة

(١) في الأصل :

ولقد جلبت من البضائعِ جلها      من كلِّ مختارِ وأكرمِ ما اتقى  
وأثبت ما في ق والحريدة والصالع السعيد .      يد أن السكامة الأخيرة في الطالع السعيد :  
« موفِّق » .

(٢) ق : « ووجدت » . وكلمة « رواقه » هي في الأصل : « ظلالة » وأثبت ما في ق

والحريدة . وفي الطالع السعيد : « تحت رداؤه » تحريف .

(٣) في الأصل : « ولعائبي » صوابه في ق . وفي الحريدة : « ولعائبي » .

(٤) ق : « بغير جبل الأوثق » وفي الحريدة : « بجبل غير موفِّق » .

(٥) في الأصل : « رمت حظي » صوابه في ق والحريدة .

(٦) في الأصل : « لأصيرن اليأس » صوابه في ق والحريدة .

(٧) في الأصل : « وله من قصيدة غير هذه » وأثبت ما في ق والحريدة .

(٨) ق : « الصدور » وهما صحيجان ، يقال صدر يصدر صدراً وصدوراً .

ويذم الضراعة ، ويتأسف على إذالة خدّه ، وإرافة ماء وجهه :

لَهْفِي لِمَلِكٍ قَنَاعَةٍ لَوْ أَنِّي مَتَّعْتَ فِيهِ بَعِزَّةَ الْمُتَمَلِّكِ  
 وَلِكَنْزِ يَأْسٍ كُنْتُ قَدْ أَحْرَزْتُهُ لَوْلَمْ تَعِثْ فِيهِ الْخَطُوبُ وَتَفْتِكِ  
 آلَيْتُ أَجْعَلُ مَاءَ وَجْهِ بَعْدَهُ كَدَمٍ يُهْلِكُ بِهِ الْحَجِيجُ بِمَنْسِكَ  
 وَأَخِ مِنْ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ قَطْعَتُهُ فِي طَاعَةِ الْأَمَلِ الَّذِي لَمْ يُدْرِكِ  
 يَا قَاتِلَ اللَّهِ الضَّرُورَةَ حَالَةً أَيَّ الْمَسَالِكِ بِالْفَتَى لَمْ تَسْلِكِ (١)  
 كَمْ بَاتَ مَشْكُوتًا إِلَيْهِ [ تَحِيْفَتِ حَلَقَاتِهِ قَرَعًا ] بِرَاحَةِ مَمْسِكَ (٢)  
 وَفَمَّ عَلَى قَدَمِ رَمْتِ ، وَنَوَاطِرِ كَحِلَّتْ مَحَاجِرُهُ بِمَوَطِي سُنْبِكَ (٣)  
 وَمُسْرَبِلٍ بِالصَّبْرِ وَالتَّقْوَى دَعَتْ فَأَجَابَهَا فِي مِعْرَاضِ الْمُتَنَسِّكِ (٤)  
 ظَلَّتْ تَصْرِفُهُ كَتَصْرِيفِ الْعَصَا رَأْسَ الْبَعِيرِ لِمَبْرُكٍ عَنِ مَبْرُكِ

وله إلى رئيس كان يكلفه زيارته ويقعد عن ذلك تعاضلا وتكبرا :

أَكْبَرْتَ نَفْسَكَ أَنْ تَسْمَى مُصَادِفَةً وَوَسْمَتْنِي لَقَدْ كَلَّفْتَنِي شَطَطًا (٥)  
 لَا تَكْذِبَنَّ فَمَا كُنَّا لِنُوجِبَ مِنْ حَقِّي وَأَنْتَ تَرَاهُ عَنكَ قَدْ سَقَطَا  
 لَوْ بَعَثْتَ النَّفْسَ بَيْعًا كُنْتَ تَمْلِكُهَا بِهِ لَكَانَ عَلَيْكَ الْعَدْلُ مُشْتَرَطًا (٦)  
 فَهَلْ سَبِيلٌ إِلَى أَنْ لَا تَوَاصِلَنِي وَلَا تَكْلِفُ مِثْلِي هَذِهِ الْخَطَطَا (٧)  
 عَسَى صَحِيفَةٌ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَنْ تُطَوِّيَ وَمَا ضَمَّنْتَ غَيْرَ الَّذِي فَرَطَا (٨)

(١) هذا ما في ق والحريدة ، وفي الأصل :

يا قاتل الله الضرورة لأنها سلكت مهالك بالفتى لم تسلك

(٢) في الأصل : « لم يأت » ، وصواب البيت وتكملته من ق والحريدة .

(٣) هذا البيت ساقط من الأصل .

(٤) في الأصل : « ومسربل بالنصر » صوابه في ق والحريدة .

(٥) في الأصل والحريدة : « مصارفة » بالراء ، وأثبت ما في ق .

(٦) ق والحريدة : « به على لكان العدل » .

(٧) في الأصل : « ولا تكلف مثل الطرق والخططا » صوابه في ق والحريدة .

(٨) في الأصل : « وما قد من أمرنا فرطاً » صوابه في ق والحريدة .

وله<sup>(١)</sup> في صدر رسالة :

أَتَى كِتَابُكَ عَن سُخْطِ فَآنَسَنِي      بَمَا تَضَمَّنَ أَنَسُ الْعَيْنِ بِالْوَسْنِ<sup>(٢)</sup>  
قَرَأْتُهُ فَجَرَّتْ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ      مَنَى مَعَانِيهِ جَرَى الْمَاءِ فِي الْفُصْنِ<sup>(٣)</sup>  
فَمَا أَقُولُ بَعَثَ الرُّوحَ فِيهِ إِلَى      قَلْبِي وَلَكِنْ بَعَثَ الرُّوحَ فِي بَدْنِي  
وله في شدة أصابته :

يَا مُسْتَجِيبَ دَعَاءِ الْمُسْتَجِيرِ بِهِ      وَيَا مَفْرَجَ لَيْلِ الْكُرْبَةِ الدَّاجِي  
قَدْ أُرْتِجَتْ دُونَنَا الْأَبْوَابُ وَامْتَنَعَتْ      وَجَلَّ بِأَبُكَ عَن مَنَعٍ وَإِرْتَاجِ  
نَخَافُ عَدْلَكَ أَنْ يَجْرِيَ الْقَضَاءُ بِهِ      وَنُرْتَجِيكَ فَكُنْ لِلْخَائِفِ الرَّاجِي<sup>(٤)</sup>

- ومن شعرائها المشهورين أبو الطاهر بن إسماعيل بن محمد المعروف بابن  
مكنسة<sup>(٥)</sup>، وهو شاعر كثير التصرف، قليل التكلف، مفتن في وشي<sup>(٦)</sup> جد<sup>(٧)</sup>  
القريض وهزله، وضارب بسهم في رقيقه وجزله. وكان في ريعان شببته، وغنفوان  
حدائته، يعشق غلاماً من أبناء عسكرية المصريين، يدعى عز الدولة فائق، وهو  
الآن بمصر من رجال دولتها المعدودين وأكابرها المقدمين. ولم يزل مقياً على عشقه  
له، وغرامه به إلى أن محاسنه الشعر، وغير معالته الدهر. ولم يزل مُعزِّد الدولة<sup>(٧)</sup>  
هذا متعهداً له محسناً إليه، مشتملاً عليه، إلى أن فرَّق الدهر بينهما. وكان في  
أيام أمير الجيوش بدر الجمالي منقطعاً إلى عامل من النصارى يعرف بأبي مليح،

- (١) بعد هذه الكلمة في الأصل يابض بقدر صفحتين من الأصل، وقد أمكنني سد هذه  
الثلمة من ق والحريدة. والقدر المشترك بين ق والحريدة ينتهي إلى كلمة «الراجي» ختام  
الآيات الجيمية التالية، ثم تنفرد «ق» بإتمام النقص الذي سأنبه على نهايته.
- (٢) ق والحريدة: «فأأسنى»، تحريف صوابه في ق والطلع السعيد. وصدرة في الطالع  
السعيد (٢٢٢): «وإني كتابك».
- (٣) في الطالع السعيد: «تفتت الروح».
- (٤) إلى هنا ينتهي القدر المشترك من التكملة بين ق والحريدة، ثم تنفرد «ق».
- (٥) ترجم له ابن شاكر في القواف (١: ٢٦): وقال «توفى في حدود الخمسة».
- (٦) في الأصل: «وعى».
- (٧) سبق قريباً بلفظ «عز الدولة فائق» وهكذا وردا بالأصل.

وأكثرُ أشعاره فيه ، فلما انتقل الأمر إلى الأفضل تعرّض لامتداحه ، فلم يقبله ولم يقبل عليه ، وكان سبب حرمانه ما سبق لأبي مليح ومراثيه ميتاً ، لا سيما قوله :

طُوِيَتْ سَمَاءُ الْمَكْرَمَاتِ وَكُوِّرَتْ شَمْسُ الْمُدِيحِ

ما كان بالنكس الدنسى من الرجال ولا الشحيح

كفّر النصارى بعد ما عقّدوا به دين المسيح

وكفّله عزُّ الدولة بن فائق ، وقام بحاله إلى أن مات .

ولم يُقبل الأفضلُ على أحدٍ من الشعراء كإقباله على رجل من أهلِ مَعْرَةَ النعمان<sup>(١)</sup> يدعى أبا الحسن على بن جعفر بن النون<sup>(٢)</sup> فإنه أفاض عليه سحائب

إحسانه ، وأدرّ له حلوبةً إنعامه ، ولقّبهُ بأمين [ الملك<sup>(٣)</sup> ] وأدناه واستخلصه ،

ولم يكن شعره هناك<sup>(٤)</sup> بل كان متكلفاً متعسفاً ، ولست أعرف أحداً من أهل

تلك البلاد يروى له بيتاً واحداً فما فوقه ، لمنافرة الطباع كلامه ، ونُبوء الأسماع

عن طريقته . وقد كان أمره الأفضلُ يوماً أن يصف مجلساً عُيِّيت فيه فواكه

ورياحين ، فقال من مزدوجته<sup>(٥)</sup> يصف الأترج المصبّع :

كأنما أترجُه المصبّعُ أيدي جنّاةٍ من زنودٍ تقطعُ

فليلط ولم يفتن ، وأساء أدبَه ولم يشعر ؛ لأنه قصد مدح الأترج فقزّز

نفس الملك منه ، وصرّفها عنه ، ولو قصد ذمّه لما زاد على ما وصّف به ، من

الأيدي المقطوعة من زنودها .

والبليغ الحاذقُ من إذا وصّف شيئاً أعطاه حقّه ، ووفّاه شرطه ، ووصفه بما

(١) إلى هنا ينتمى السقط الذي نهبت عليه في أول الصفحة السابقة .

(٢) في : « النون » .

(٣) هذه من ق .

(٤) في الأصل : « هناك بالجيد » صوابه في ق ، وكلمة « بالجيد » ملحقة .

(٥) في الأصل : « مزدوجات » صوابه في ق .

يناسبه في حالتى مدحه ودفته ، ووضع كلِّ شيء في مكانه في نثره ونظمه <sup>(١)</sup> .

فأين هذا الشاعر في أدبه وحذقه بالصناعة <sup>(٢)</sup> وفطنته ، من أبى هلى الحسن ابن رشيق ، وقد أمره المعز بن باديس أن يصف أترجة [ مصبغة <sup>(٣)</sup> ] كانت بين يديه <sup>(٤)</sup> ، فقال مرتجلاً على البديهة :

• أترجة سبطة الأطراف ناعمة تلتقى العيون بمحسنٍ غير مبخوس <sup>(٥)</sup>  
كانها بسطت كفًا لحالقتها تدعو بطول بقاء لابن باديس

ولو أن ابن الرومى قصد مدح الورد بقوله :

يامادح الورد ماينفك من غلظه <sup>(٦)</sup> أما تأملته في كف ملقظه  
كانه سُرْم بغلٍ حين يُبرزه عند الخراء وباقي الروث في وسطه

١٠ لكان غالطا أو جاهلا أو غافلا ، بل قال ذلك حين قصد ذمّه وأراد تخصيصه .  
فانظر هذا التشبيه الذى لم يُسمع أعجب منه . فلعن الله شيطانه <sup>(٧)</sup> .

وكذلك عبد الله بن المعتز فى قوله يصف القمر من أبيات :

وبات كما سرَّ حساده إذا رام قُرباً من النوم شدَّ <sup>(٨)</sup>  
تفرزه سروات البعوض فى قر شمل ظهر الجرذ <sup>(٩)</sup>

١٥ وقول ابن المعتز فى القمر من أبيات :

ياسارق الأنوار من شمس الضحى يأمشكى طيب الكرى ومُنغصى

(١) ق : « من نثره ونظمه » .

(٢) ق : « ومعرفته بالصناعة » .

(٣) هذه من ق .

٢٠ (٤) فى الأصل : « كانت فى يده » وأثبت ما فى ق .

(٥) مبخوس : منقوس . وفى الأصل « منقوس » ، صوابه فى ق .

(٦) هذا ما فى ق وفى الأصل : « من غلظ » .

(٧) هذا ما فى ق . وفى الأصل : « فلعن الله ذلك » .

(٨) فى ديوان ابن المعتز (٢ : ١١٦) : « كما سر أعداءه » .

٢٥ (٩) فى الأصل : « فن قر » صوابه من الديوان .

أما ضياء الشمس فيك فناقص وأرى حرارة نارها لم تنقص  
 لم يظفر التشبيه فيك بطائل متسلخاً بهقاً كجلد الأبرص<sup>(١)</sup>  
 وهذا بابٌ لو استقصيناه لطلال واتسع<sup>(٢)</sup> ، فلنتركه ولنصل من قبلنا  
 ما انقطع<sup>(٣)</sup> .

\* \* \*

وقال إسماعيل بن مكنسة<sup>(٤)</sup> من قصيدة :

أعاذلُ ما هبت رياحُ ملامية بنار هوى إلا وزادت تضرماً  
 فيكنى إلى عين إذا جف ماؤها رأت من حقوق الحب أن تذرِف الدما  
 فكم عبرة أعطت غرامى زمامها عشية أعمان الطوى المزماً  
 وعين حماها أن يُلمَّ بها الكرى أحاديث أيام تقضين بالحمى  
 والله قلب قارعتة هو مؤه فلم يبق حد منه إلا ثلماً<sup>(٥)</sup>

وله من أخرى :

دقت معاقد خصره فكانها مشتقة من عهدته وتجلدى<sup>(٦)</sup>  
 وتجمعت أصداعه فكانها مسروقة من خلقه المتجمد<sup>(٧)</sup>

[ ومنها<sup>(٨)</sup> ] :

(١) في الديوان : « منك بطائل » . وفي الأصل : « بملخ » صوابه في ق وفي الديوان : « متسلخ » .

(٢) هذا ما في ق . وفي الأصل : « لو استقصيناه لانسع » .

(٣) هذا ما في ق . وفي الأصل : « من غرضنا ما انقطع » .

(٤) ق : « أبو الطاهر بن مكنسة » ، وكلاهما صحيح .

(٥) في الأصل : « مثلما » وأثبت ما في ق والحريدة ( ٢ : ٣٠١ ) .

(٦) في الأصل : « من فده » صوابه في ق . وفي الحريدة ( ٢ : ٢٩٩ ) « من

تيهه » ، وأثبت بشىء .

(٧) في الأصل : « من شعره » وأثبت ما في ق والحريدة .

(٨) هذه من ق .

ما باله يجفُو وقد زعم الوري  
لا يخذعنك وجنة محمزة  
وله من قصيدة :

وعسكريّ أبداً حينما  
حاجبه قوس وأجفانه  
[ راح وفعلُ الراح فيه كما  
يفعل بالفصن نسيمُ الرياح <sup>(٢)</sup> ]

أغار في هذا البيت الأخير على خالد الكاتب في قوله :

رأت منه عيني منظرين كما رأت  
عشيّة حَيّاني بوردي كأنه  
[ وناولني كأساً كأنّ مزاجها  
دموعى لما صدّ عن مقلتي الغمض <sup>(٥)</sup> ]

\*\*\*

وراح وفعلُ الراح في حركته  
وأما البيت الذي قبله <sup>(٦)</sup> فقد تداوله الشعراء . ومن مליح ما وقع فيه قولُ  
بعض أهل العصر :

بي من بني الأصفر ريمٌ رمي  
سهمٌ من اللحظ رمته به  
كأنما مقلته في الحشى  
وله في ورق كاغد أهدى إليه :

- (١) كلمة « يجفو » ساقطة من الأصل . وإثباتها من ق والخريدة .  
٢٠ (٢) البيت ساقط من الأصل ، وإثباته من ق والخريدة ( ٢ : ٣٠١ ) .  
(٣) في الأصل : « كأنما هو الشمس » ، وأثبت ما في ق والخريدة .  
(٤) في الأصل : « على بعض » ، وأثبت ما في ق .  
(٥) هذا من الخريدة فقط .  
(٦) يعنى قوله :

٢٥ حاجبه قوس وأجفانه نبل وعطفاه ثنى الرماح

أهدى لنا ورقاً أرَقَ من الشراب المستحيلِ  
 خلقاً تمزقه الخطوط كأنه عرضُ البخيلِ  
 لا بالصَّبِيعِ ولا الصَّقِيهِ ل ولا العريضِ ولا الطويلِ  
 إلا بياضاً خلته وضحاً على جسم نحيل<sup>(١)</sup>

• وقد استوفى بعضُ أهل العصر هذا المعنى ، فقال يذ كر رِزْمَة كاعْد أخرجت  
 إليه من خزانة السلطان ، تستعمل في ديوان الإنشاء ، وكان بعض كتاب الديوان  
 يسرق الكاغد ، فسلبت تلك الرِّزْمَة منه لدمامتها وخِصَّة ثمنها :

وكاغدٍ يشبه حالينَا في كلِّ معنى ويحاكيها  
 جُنْسٌ للخطِّ به صهورة لاشهء في القبح يدانيها<sup>(٢)</sup>  
 ينفذ في صفحته كلُّ ما ترسمهُ أقلامنا فيها  
 نودعه مكنونَ أسرارنا وهو إلى الألفاظ يُفشيها  
 مختلفاً الأجزاء مستخشنٌ تلمسه الكفُّ فيديمها  
 كجلدة الأبرصِ في لونه وصفاً على الحق وتشبيها  
 لو كان خلقاً كان مستبشعاً أو كان خلقاً كان تشويها  
 يعثر الأعلامَ حتى ترى مقلولةً فيه مواضيا<sup>(٣)</sup>  
 يتركها تشبهُه أجزاها في عدم البرى هواديا<sup>(٤)</sup>  
 من بعد ما ضاهى بأطرافها أطراف سمر الخطِّ باريا<sup>(٥)</sup>

(١) هذا البيت ساقط من ق .

(٢) في الأصل : « فيها ما يدانيها » صوابه من ق

(٣) يقال أعره إعراراً وعره تعشيراً . وفي الأصل : « يغير الأقلام » وأثبت ما في ق .

(٤) الكلمة الأولى ساقطة من الأصل ، كما سقطت كلمة « البرى » ونصف الكلمة

التي بعدها ، وإتمامه من ق . وفي ق : « في قدم البرى » ، ووجهه ما أثبت من الأصل .

وهواديا بمعنى أوائلها ، أي رهوسها .

(٥) ورد البيت في الأصل مبتوراً ، منتهاً بكلمة « أطراف » وإتمامه من ق .

وتفعل الأملُ في جريها كالسبرق.... بها<sup>(١)</sup>  
 وم غد آيسلُها جاهداً من كان بالنفس يفلئها  
 يقول من يبصر أطباقه شئت يدُ باتت تعبها  
 قد عبث السوسُ بأوساطها وقرض الفأر حواشيها<sup>(٢)</sup>  
 لو عُرِضت رِزمتُهُ لم تجد مشترياً في انخلق يشريها  
 لو بَدَل القلسَ بها غالطاً أوسِعَ تضييماً وتسفيها<sup>(٣)</sup>  
 لا يرزأ السارقُ منها ولا يغتالها من حيلة فيها<sup>(٤)</sup>  
 تُخْصِي الحصى مستوفياً عدّه من قبل أن تُخْصِي مساويها<sup>(٥)</sup>  
 من ذمّ ذا نقصٍ وذا خسةٍ فهو بذاك الـدمّ يعنيها<sup>(٦)</sup>

١٠

وقال أبو الطاهر<sup>(٧)</sup> :

قلتُ إذ عقربَ الدلا لُ على خده الشَّعْرُ  
 هذه آيةٌ بها ظهر الحسنُ وانتشر  
 مارئِي قبلَ صدغه عقربٌ حلت القمر<sup>(٨)</sup>

هذا معنى مليح وإكثته سرقة من بيتين أنشدَ نهما بمصر رجل يسمى أبا محمد

١٥

التكريتي من تلاميذ أبي حامد الغزالي لأبي حامد ، ولم اسمهما من غيره :

٢٠

- ( ١ ) كذا جاء البيت في الأصل ، وهو ساقط من ق  
 ( ٢ ) في الأصل : « بأطرافها » ، والوجه ما أثبت من ق .  
 ( ٣ ) تضييماً ، كذا وردت .  
 ( ٤ ) في الأصل : « نجا لها » ، صوابه في ق . و « من حيلة » هي في الأصل وق :  
 « في حيلة » .  
 ( ٥ ) مستوفياً عدّه ، مكانها بياض في الأصل ، وإنباتها من ق .  
 ( ٦ ) كلمة « وذا خسة » موضعها أبيض في الأصل ، وإنباتها من ق .  
 ( ٧ ) هو أبو الطاهر إسماعيل بن محمد ، المعروف بابن مكسة ، وقد سبق التنبيه على اسمه  
 في ص ٤٣ .

٢٥

( ٨ ) في الخريدة ( ٢ : ٣٠٢ ) : « مارئِي قط قبل ذا » .

( نوادر — ٤ )

- حَلَّتْ عِقَابُ صُدْغِهِ فِي خَدِّهِ قَرَأَ فِجْلًا بِهَا عَنِ التَّشْبِيهِ (١)  
 وَلَقَدْ عَمِدْنَاهُ يَحْمَلُ بِرُجْمَا فَمِنَ الْمَجَائِبِ كَيْفَ حَلَّتْ فِيهِ
- وَقَالَ أَبُو الطَّاهِرِ أَيْضًا مِنْ قَصِيدَةٍ وَقَدْ عَزَمَ عَلَيْهِ بَعْضُ الْأَمْرَاءِ فِي الْخُرُوجِ (٢)  
 مَعَهُ إِلَى الشَّامِ لِقِتَالِ الْفُرْجِ (٣) ، أَوْلَاهَا :
- غَيْرَ عَاصٍ عَلَيْكَ تَقْوِيمُ عُوْدِي فَانْقُصِي مِنْ مَلَامَتِي أَوْ فَرِيدِي (٤)  
 قَلِّ لِمَوْلَايَ إِذْ دَعَانِي لِأَمْرِ قَتُّ فِيهِ لَهُ مَقَامَ الْعَبِيدِ
- ضَعَفْتُ حَيْلَتِي وَقَلَّ غِنَايَ وَدَنْتُ غَايَتِي وَرَثَّ جَدِيدِي (٥)  
 أَنَا مَالِي وَلِلشَّامِ وَإِنِّي لِأَرَى نَارَ حَرْبِهَا فِي وَقُودِ
- بَلَدٍ جِنُّهُ عَفَارِيَةٌ أَلْفُ زُ وَأَرْضٌ وَحَوْشُهَا مِنْ أَسْوَدِ (٦)  
 وَالْجِفَارِ الَّتِي تَقُولُ إِذَا مَا قِيلَ هَلَّا امْتَلَأَتْ : هَلْ مِنْ مَرْيَدِ (٧)
- وَكُنَّ بِي عَلِيٍّ بِعَيْرٍ تَرَانِي آخَرَ النَّاسِ فِي لَفَيْفِ الْحُشُودِ (٨)  
 أَسْوَدَ الْوَجْهِ نَاطِرًا فِي أُمُورِ مَعْضَلَاتٍ مِنْ الْحَوَادِثِ سُودِ

(١) وكذا روى في وفيات الأعيان ، في ترجمة أبي حامد الغزالي . وفي الحريرة وق : « يحمل به عن التشبيه » . قال ابن خلكان : « ورأيت هذين البيتين في موضع آخر لغيره » .  
 (٢) ق : « في السير » .  
 (٣) في اللسان والقاموس أن « الفرج » جنس من الترك .  
 (٤) في الأصل : « غير عاص » صوابه من الحريرة (٢ : ٣٠٨) . وفي ق : « عاص »  
 يقال عسا إذا اشتد .

(٥) الفناء ، بالفتح : النفع . وفي الأصل : « عنائي » صوابه في ق والحريرة (٢ : ٣٠٨) .  
 (٦) في الأصل : « حنة » صوابها في ق والحريرة . والعفارية ياء قبل الآخر : جمع عفرية ، وهو العفريت . وفي الأصل : « عفاربه » وفي ق والحريرة : « عفارته » صوابهما ما أثبت . انظر اللسان ( عفر ٢٦٣ ) .

(٧) الجفار : جمع جفرة بالضم ، وهي الحفرة الواسعة المستديرة . وفي الأصل وق : « الذي يقول » صوابه في الحريرة . وفي الحريرة : « قيل امتلأت هل مريد » وفي ق : « قيل هل امتلأت » ولا يستقيم الوزن بأحدهما . والوجه ما أثبت .  
 (٨) في الأصل : « وكانني علي » وأثبت ما في ق والحريرة .

وإذا قيل في غدٍ يلتقي النسا  
 حيث لا ناظري تراه حديداً  
 حيث لا يُتقى لسانى ولا يثد  
 إن رأيت إذا يُسدّد نحوى  
 فإذا ما قتلتُ كنت خليفاً  
 فأقنني عثارها وابق للمج  
 وقال من قصيدة في طريقة أبي الشَّمقِيق<sup>(٤)</sup> :

أنا الذى حَدَّثكم عنه أبو الشَّمقِيقِ  
 وقال عنيّ إننى كنتُ نديمُ الملتقى  
 وكنت كنت كنت كذتُ من رماة البندق  
 حتى متى ألتقى كذا تيساً طويلاً العنق<sup>(٥)</sup>  
 بلحية مسابله وشارب محلق<sup>(٦)</sup>  
 [يا ليتها قد خلقت من وجه شيخِ حَلَقى<sup>(٧)</sup>]  
 وقال<sup>(٨)</sup> من أخرى :

عشتُ خمسين بل تزيبُ سدُ رقيقاً كما ترى

(١) ق : « رأس البعبر عني » ، وفي الخريدة : « زمام البعير » .

(٢) ق والخريدة : « إذا تسدد نحوى » ، يقال سدده فنسدد .

(٣) ق والخريدة : « وابق للحمد » .

(٤) ق : « أبو الرعمق » وهو شاعر آخر وليس مراداً . أما أبو الشَّمقِيقِ فهو  
 ٢٠ مهوان بن محمد وكان معاصراً لبشار وأبي نواس . وترجمته في « تاريخ بغداد » ٧١٢٨  
 وابن خلكان في تضاعيف ترجمة يزيد بن مزيد . ولم يفرد له ترجمة . وأما أبو الرعمق فهو  
 أبو حامد أحمد بن محمد الأنطاكي ، وترجم له الثعالبي في اليتيمة ( ١ : ٢٣٨ ) وابن خلكان  
 في الوفيات ( ١ : ٤١ ) .

(٥) ق والخريدة : « حتى متى أبقى » .

٢٥ (٦) في اللسان : « يقال سبل سابل » . وفي الخريدة : « بلحية مسابله » .

(٧) البيت من ق والخريدة . والحلقى : اللابون ، وجاءت في أصلها : « حلقى » معرفة .

(٨) في الأصل : « وقوله » ، صوابه في ق .

أحسبُ المُقلُّ بندقاً وكذا الملح سكرًا<sup>(١)</sup>  
وأظنُّ الطويل من كل شيء مدورا  
قد كبر بر بير بير ت وعقلي إلى ورا  
عجبا كيف كلُّ شيء أراه تغيرا  
لا أرى البيض صار يؤ كل إلا مقشرا  
وإذا دق بالحجا ر زجاج تكسرا  
وإذا مات ميت لا يشمن عنبرا<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

ومن شعراء المصريين في زماننا هذا من يقول - وهو أبو مشرف  
الدرجراوى<sup>(٣)</sup> ، وهو منسوب إلى درجرا ، وهي ضيعة<sup>(٤)</sup> بالصعيد الأعلى :  
قاص إذا انفصل الخصمان ردّها إلى الخصاص بحكم غير منفصل  
بيدي الزهادة في الدنيا وزخرفها جهراً ويقبل سرّاً بعرّة الجمل  
ومنهم من يقول ، وهو أبو الحسن علي بن البرقي ، من أهل قوص :  
رمانى الدهر منه بكلّ سهم وفاجانى بين بعد بين<sup>(٥)</sup>  
وجعّ في فؤادى كلّ حزن وفرّق بين أحبائى وبينى  
ففى قلبى حرارة كلّ قلب وفى عيني مدامع كلّ عين  
وله من أبيات :

ولى سنّة لم أدر ما سنّة الكرى كأن جفونى مسمى والكرى العنل<sup>(٦)</sup>

- (١) المقل : ثمر الدوم . وفى الأصل : « البقل » ، وفى ق والحريدة : « المصل »  
والوجه ما أثبت . وفى الأصل : « سكرًا . وأحسب الملح سكرًا » ، صوابه فى ق والحريدة .  
(٢) البيت ساقط من ق والحريدة . وفى الأصل : « لا يشمن » تحريف .  
(٣) قال ياقوت ، عند الكلام على درجرا : « قد خرج منها شاعر متأخر يعرفه المصريون  
يقال له ( أبو ) المشرف . وله شعر جيد » وفى الأصل : « الدرجراوى » صوابه فى ق والحريدة .  
(٤) فى الأصل : « إلى ضيعة درجرا وهى » صوابه فى ق .  
(٥) فى ق ركب صدر هذا البيت على عجز تاليه فصارا بيتاً واحداً . وكذا جاء فى الطالع  
السعيد للأدبوى ٢١٩ .  
(٦) فى الأصل : « وبين جفونى » صوابه فى ق والحريدة والطالع السعيد . والكلمة  
الأخيرة من البيت ساقطة من الأصل وإنباتها من النسخ الثلاث .

ومنهم من يقول ، وهو أبو محمد عبد الله بن الطباخ الكاتب ، يهجو رجلاً أوقص . أنشدتهما لأبي الحسن [ علي بن (١) ] [ الصوفي الخنيلي (٢) ] :

قَصُرَتْ أَخَادِعُهُ وَغَاضَ قَدَالُهُ فَكَأَنَّهُ مُتَوَقِّعٌ أَنْ يُصَفَّعَا (٣)  
وَكَأَنَّهُ قَدْ ذَاقَ أَوَّلَ دِرَّةٍ وَأَحْسَنَ ثَانِيَةَ لَهَا فَتَجَمَّعَا

• ومنهم من يقول ، وهو أبو عبد الله محمد بن مسلم الكاتب :  
تَصَفَّهَا الْحَادِي وَقَدْ هَجَرَ الْفَلَا وَمَرَّ عَلَيْهَا الْخَمْسُ يَتْبَعُهُ الْعِشْرُ (٤)  
وَأَمْلَحَهَا لَفْحُ الْمَجِيرِ كَأَنَّهُ هَوَى وَهُوَ قَلْبٌ قَدْ أَضْرَبَ بِهِ الْمَجْرُ  
ومنهم من يقول ، ولا أتحمق اسمه ، في رجلٍ يلقب بالرشيد (٥) :

شَتَّانَ مَا بَيْنَ الرَّشِيدِ وَبَيْنَ هَارُونَ الرَّشِيدِ  
هَذَا يِعْزَّرُ بِالْجَلُو د وَذَا يِعْزَزُ بِالْجَنُودِ (٦)

١٠ • ومنهم من يقول ، وهو محمود بن ناصر الإسكندري (٧) كاتب القاضي ابن حديد ، في طيبٍ أعلم مشوّه الخلق :

صَدِيقْنَا الْمَسْتَطِبُّ نَادِرَةٌ قَدْ أَخَذَتْ مِنْهُ أَعْيُنُ النَّاسِ (٨)  
أَنْيَابُ غُولٍ وَمِشْفَرَا جَلِيٍّ وَرَأْسُ بَغْلٍ وَذَقْنُ نِسْنَسِ

١٥ • ومنهم من يقول ، وهو أبو نصر ظافر بن قاسم المعروف بالحداد (٩) من أهل الإسكندرية ، وكتب إلى بها في رسالة :

(١) هذه من ق . (٢) ق : « الجبلي » .

(٣) في الأصل : « وغاب قداله » ، وأثبت ما في ق .

(٤) في الأصل : تمشفها ، صوابه ما في ق .

٢٠ • (٥) في الأصل : « يسمى هارون الرشيد » وأثبت ما في ق .

(٦) التعزير : ضرب للتأديب دون الحد . وهذا هو الوضع الصحيح للبيت كما في الأصل . وجاء على العكس في ق وليس بقوى :

هَذَا يِعْزَزُ بِالْجَنُودِ د وَذَا يِعْزُرُ بِالْجَلُودِ

(٧) ق : « الإسكندراني » .

٢٥ • (٨) في الأصل : « قد أخذتها من أعين الناس » صوابه في ق والمحرية .

(٩) ترجم له ابن خلكان في « وفيات الأعيان » وياقوت في « إرشاد الأريب »

وذكر أنه توفي سنة ٥٢٩ هـ .

وما طائرٌ قصَّ الزمانُ جناحه  
فأعدمته وكرأ وأقصدَه إلفا  
تذكر زغباً بين أفنانِ أيكَةٍ  
خوافي الخوافي ما يطرن بها ضعفا  
إذا التحف الظلماء ناجي همومه  
بترجيع لحنٍ كاد من رقةٍ يخفي<sup>(١)</sup>  
بأشوقٍ مني إذ أطاعت بك النوى  
هوائية مائية تسبق الطرفا  
تولت وفيها منك ما لو أقيسه  
بما هي فيه كان في فضله أوفى<sup>(٢)</sup>

وقال أيضاً :

رَحَلُوا فَلَوْلَا أَنِّي أَرْجُو اللَّقَا قَضَيْتُ نَجِي<sup>(٣)</sup>  
وَاللَّهِ مَا فَارَقْتُكُمْ لَكِنِّي فَارَقْتُ قَلْبِي<sup>(٤)</sup>  
ومنه من يقول ، وهو أبو القاسم بن رشد<sup>(٥)</sup> المصري :

وكم قائلٍ لي سافرٍ إلى بلادِ العراقِ تَقَعُ في الرِّخَاءِ<sup>(٦)</sup>  
لمصرى لقد صدقوا قد وقع وسط الرخاء بتقديم خاء  
ومنه من يقول — وهو الناجي المصري — يهجو حمّاما :

إِنَّ حَمَامَنَا الَّذِي نَحْنُ فِيهِ هُوَ فِي حَاجَةٍ إِلَى حَمَامِ  
قد دخلنا ونحن أولاد سامٍ وخرجنا ونحن أولاد حامِ  
وقال بعضُ أهلِ العصرِ في هذا المعنى :

حَمَامَنَا هَذَا أَشَدُّ ضَرُورَةً مِمَّنْ يَحِلُّ بِهِ إِلَى حَمَامِ  
تبييضُ ألوانِ الوري في غيره ويُعيرها هذا ثيابَ سُخَامِ  
قد كنتُ من سامٍ فحين دخلته لَشَقَاءِ جَدِّي رَدَّني من حَامِ<sup>(٧)</sup>

ومنه من يقول ، وهو أبو الحسن مروان بن عثمان :

تَمَكَّنَ مِنِّي الشُّقْمُ حَتَّى كَأَنَّي تَوْهَمَ مَعْنَى فِي خَفِيِّ سَوَالِ

(١) ق : « من دقة » . (٢) ق : « كان في وصفه وفي »

(٣) ق : « أرجو الإياب قضيت نجي » . (٤) ق : « والله ما فارقتهم » .

(٥) في الأصل : « بن زيد » وأثبت ما في ق .

(٦) ق : « الرخاء » بالصدر ، وكذا « خا » بالصدر في البيت التالي .

(٧) في الأصل « دخلتها » صوابه في ق والحريدة ( ٢ : ٣٠٥ ) .

- [ولو ساحت عيناه عينيّ في الكرى  
سمحت بروحي وهي عندي عزيزة  
وقد خفت أن تقضى على منيتي  
وهوّن ما ألقى من الوجد أنه  
فلو كان ذاك الصدّ منه ملالة
- لأشكّل من طيف الخيال خيالي<sup>(١)</sup>  
وجدت بقلبي وهو عندي غالي  
ولم أقض أوطاري بيوم وصال<sup>(٢)</sup>  
صدود دلال لا صدود ملال  
شدت عن الدنيا مطي رحالي<sup>(٣)</sup>

هذا من قول العباس بن الأحنف :

- لو كنت عاتبة لسكن لوعتي  
لكن صدت فلم تكن لي حيلة  
ولمروان :
- أملى رضاك وزرت غير<sup>(٤)</sup> [مراقب  
صدّ الملل خلاف صدّ العاتب

- ١٠ ما بال قلبك يستكين  
برح الخفاء بما تج  
حتى متى بين الجوا  
وإلى متى قلب المة  
يا ما طلى بديون قل  
شخصت له فيك العيو  
وسلبت ألباب الورى  
وقوام أغصان الريا  
الحسن في الأغصان فن وهو في هذا فنون
- أبه غرام أم جنون<sup>(٥)</sup>  
ن ، فأذهب الشك اليقين  
نوح والضلوع هوى دفين  
يم في يد البلوى رهين  
بى آن أن تقضى الديون  
ن وقسمت فيك الظنون  
بلوا حظ فيها فتون  
ض وأين تدركك النصون  
فن وهو في هذا فنون

(١) البيت من الخريدة ( ٢ : ٢٠٣ ) .

(٢) في الأصل : « منية » وأثبت ما فى ق والخريدة .

(٣) هذا البيت ساقط من ق .

(٤) بعد هذا بيان في الأصل بقدر نحو صفتحين ، وقد أكلته من ق والخريدة

(٥) ( ٢ : ٢٠٤ ) ، والقدر المشترك بينهما في التكملة هو السطر الأخير فقط مما وضع بين معكفين ،

وأما سائر التكملة فهو من الخريدة فقط . (٥) يجوز في رويه الإسكان والتحريك .

من أين للأغصان إذا ك الغنجُ والسحر المبين  
أم ذلك الورد الجنيّ بخدّه والياسمين

ومنهم من يقول ، وهو أبو إسحق إبراهيم بن الأشعث [ :

إذا حلَّ محمودٌ بأرضٍ فإنه يفجرُ فيها من ندى كفه عينا<sup>(١)</sup>  
فتنبت نوراً مشبهاً لهباته يرى ورقاً بعضه وبعضٌ يرى عينا<sup>(٢)</sup>

وله في غلامٍ مليحٍ أسمر :

ياذا الذي يُنفقُ أمواله في حبِّ هذا الرشا الفائق<sup>(٣)</sup>  
ما الذهب الصامتُ مستكراً إذهابه في الذهب الناطق<sup>(٤)</sup>

ومنهم من يقول في مشوقٍ له تمام ، وهو محمود بن إسماعيل بن حميد الدميّاطي :

تمتمةٌ تمَّ غرامى بها وعارضٌ عرّضنى للسقام  
ووفرةٌ همى بها وافرٌ وحاجبٌ حجّب عني المنام<sup>(١)</sup>

وله من أبيات يصف الخمر :

وبت ليلى أرى النار التي سجدت لها الجوسُ من الإبريق تسجد لي

هذا — أطل الله بقاء الحضرة السامية — ما أملاه الخلد ، على اليد ، في

في مدة متقاربة الطرفين ، ضيقة ما بين الحاشيتين . فإن تراخت المدة استدركت

القائت<sup>(٢)</sup> واستلحقت الناقص ، إن شاء الله تعالى .

نجزت يوم الثلاثاء تاسع عشر ذى القعدة عام ١٠٩١ . بأدرنة .

(١) في الأصل : « غنياً » صوابه في ق والحريدة . والعين في هذا : البنبوع الجاري .

(٢) في الأصل : « غنياً » صوابه في ق والحريدة . والورق : الفضة ، يقال بفتح الراء

وكسرهما ، وفتح الراء هنا أوفق للصناعة . والعين في هذا البيت بمعنى الذهب . وفي ق والحريدة :

« يرى ورقاً بعضاً وبعضاً يرى » وجمراً : « يرى » بهذه الرواية على أنها مضارع أرى .

(٣) في : « الأسمر الفائق » .

(٤) في الحريدة : « مستكراً » ، وفي الأصل : « ذهابه » وأثبت ما في ق والحريدة :

(٢ : ٢٠٥) .

(٥) في الأصل : « الملام » صوابه في ق . (٦) في الأصل : « الفائق » صوابه في ق .